



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة-



كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
التخصص: تحليل الخطاب

صورة الآخر في رواية الخيميائي لباولو كويلو

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر
تخصص: تحليل الخطاب

إشراف الأستاذة:
غنية بوساحية

إعداد الطالبة:
مبروكة جباري

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	عباس لغرور - خنشلة-	أستاذ محاضر - ب-	فريدة مقلاتي
مشرفا و مقررا	عباس لغرور - خنشلة-	أستاذ مساعد - أ-	غنية بوساحية
عضوا مناقشا	عباس لغرور - خنشلة-	أستاذ محاضر - ب-	عالمة خذري

السنة الجامعية: 2016***2017

شكر و عرفان:

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني

إلى إنجاز هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان،

إلى كل من ساعدني

من قريب أو من بعيد

على إنجاز هذا العمل المتواضع،

وفي تذليل ما واجهني من صعوبات،

وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "غنية بوساحية"

التي أشرفت على هذا البحث وأمدته بكل ما هو قيم بأفكارها وتوجيهاتها التي لولاها لما أدركت أي نقص

يشوب هذا العمل حتى إستوى .

مقدمة

مقدمة:

تعد دراسات الصورة من الدراسات الأدبية المقارنة التي راجت في السنوات الأخيرة، بسبب أهميتها في العلاقات بين الشعوب، وقد حظيت الثقافة العربية بإهتمام كبير من قبل الكتاب الغربيين، الذين توافدوا على البيئة العربية وأبدعوا نصوصا ارتقت إلى العالمية، ولعل من أبرز هؤلاء الكتاب نجد المؤلف البرازيلي " باولو كويلو "، الذي كتب نصوصا نالت إهتمام العديد من الدارسين، ومن بين مؤلفاته نجد رواية " الخيميائي". هذه الأخيرة التي حاولنا من خلالها الربط بين الواقع التاريخي والثقافي وبين صورة الآخر السائدة فيها، وذلك بتسليط الضوء على أهم الصور الإيجابية والسلبية التي تحويها. وأن ننبه إلى خطورة هذا المجال في تشكيل الرأي العام، لأنه حينما ندرك ما يقبله هذا الطرف، وما يرفضه نتمكن من إنشاء صور رائجة لديه. وقد وقع اختياري على هذه الرواية لأسباب عدة منها :

- قلة الدراسات المتعلقة بصورة الآخر العربي في النص الرحلي الأوروبي، مقارنة بدراسة صورة الآخر الغربي في النصوص الرحلية العربية.
- كون الكاتب في هذه الرواية خير خلف، فقد مهد الطريق للسلف كي يجلو بصورة العربي في كتاباتهم الغربية .
- محاولة الكشف على المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها نظرة الأنا الأوروبي لنظيره العربي.

بناء على ما سبق قمت بهذه الدراسة الموسومة بـ "صورة الآخر في رواية الخيميائي" لـ"باولو كويلو" بهدف إظهار أن هناك فئة من الغربيين حاولت تحسين الصورة المشوهة في أذهان الأوروبيين من أبناء بلدهم، عكس ما كان مألوفا من قبل . لهذا السبب إنشغل بعض الباحثين العرب بدراسة هذه المدونة - الخيميائي - وقد نظر كل منهم إليها من زاوية زادت من قيمتها، ومن بين الدراسات السابقة لهذه الرواية نجد مقالين:

الأول بعنوان "قراءة نقدية لرواية الخيميائي" للناقدة "إلهام الحدابي"، والثاني "دراسة لرواية الخيميائي" للأستاذة "سماح الجوهري".

وحتى تكون دراستنا مقننة كان لا بد من طرح جملة من الإشكالات أهمها:

- 1- كيف تجلت صورة الآخر العربي في عيون نظيره الغربي ؟
- 2- ما هي مرجعيات تشكل صورة الآخر العربي في كتابات الأنا الغربي ؟
- 3- ما هي أهمية دراسة صورة الآخر، وما هي وسائل تلقي هذه الصورة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، وجدنا أنه من المفيد إعتقاد بعض المناهج الخادمة للموضوع، بدءاً بالمنهج التاريخي الذي إستحضرت من خلاله السياقات الخارجية التي أنتجت مصطلحي الشرق والغرب وهذا فيما يخص المدخل، مروراً بالمنهج الوصفي الذي يستتطق المفاهيم ويتتبع معالمها، لذلك أفدت منه خاصة في الفصل الأول من الدراسة، ووصولاً إلى الأهم وهو المنهج الموضوعاتي الذي بنيت عليه الفصل التطبيقي نظراً لإمكاناته الكبيرة والفعالة في ملاحقة موضوعات صورة الآخر في الرواية وربطها بالواقع التاريخي والثقافي، وهو الأنسب لهذه الدراسة.

ولكي تتحقق غايتنا من هذا البحث، تقيدنا بخطة تشكلت من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة. تضمنت المقدمة أهمية البحث وإشكاليته وأهدافه، بالإضافة إلى مجموعة عناصر أخرى سبق لنا الإحاطة بها.

أما المدخل تطرقنا فيه إلى محاولة ضبط مصطلحي الشرق والغرب من حيث المفاهيم والعلاقات، معرجين في الفصل الأول النظري على: الصورة من حيث الماهية والمفهوم، وقد تناولنا فيه تعريفاً للصورة لغة وإصطلاحاً، كما ركزنا على مفهومها في الأدب المقارن، وبنفس الطريقة تناولنا ماهية الآخر ومفهومه.

ثم تطرقنا في العنصر الموالي إلى ولادة الصورولوجيا مركزين على البدايات الأولى لدراسة صورة الآخر في الأدب المقارن، وأسباب تباين صورة الأنا عن الآخر وكذا أهمية دراسة الصورولوجيا، ووسائل تلقي صورة الآخر كالرحلة والترجمة والاستشراق، وأخيرا تناولنا منهجية البحث في حقل الصورولوجيا .

أما في الفصل الثاني التطبيقي فقد خصصناه للحديث عن الشخصيات وهي مقسمة إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، مظهرين أهم القضايا التي تعالجها الرواية، منتقلين إلى تمظهر الآخر عبر المكان، ثم أنماط صورة الآخر وفيه تحدثنا عن عدة صور للآخر منها: صورة الآخر المسلم المضيف، صورة الآخر العربي الحكيم، صورة المرأة العربية المتزنة وسحر الأنوثة، صورة الآخر العربي المحافظ على تقاليد، صورة الآخر اللص المحتال، صورة الآخر الخيميائي ساحر الصحراء.

وفي خاتمة هذه الدراسة قمنا بحصر أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال مسيرتنا. ولتحقيق كل هذه الخطوات الممنهجة اعتمدنا على مدونة شكلت محور الدراسة، تتمثل في رواية " الخيميائي " للروائي البرازيلي "باولو كويلو"، كما يتكئ البحث في مقاربتها على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- 1- الغرب والشرق الأوسط لـ " لويس برنارد " .
- 2- مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن لـ " ماجدة حمود " .
- 3- الاستشراق لـ " سعيد إدوارد " .
- 4- الأدب العام والمقارن لـ " دانييل هنري باجو " .
- 5- صورة الآخر في التراث العربي لـ " ماجدة حمود " .
- 6- الأدب المقارن لـ " غنيمي هلال " .
- 7- الأدب المقارن لـ " طه ندا " .

8- الأدب المقارن لـ " يوسف بكار و خليل الشيخ " .

بالإضافة إلى مراجع أخرى سهلت علينا دراسة المفاهيم الأساسية لهذا البحث .

وكأي عمل مجدي حفل هذا البحث بجملة من الصعوبات تمثلت أساسا في ندرة المراجع العربية والأجنبية، إضافة إلى إشكالية غرابة هذا الموضوع، لأنه مندرج ضمن تخصص الأدب المقارن، الذي لم يسبق لي التطلع عليه.

وفي الأخير لا يفوتنا التقدم بالشكر إلى الأستاذة المشرفة " غنية بوساحية "، ولجامعة الشهيد "عباس لغرور" وبالأخص كلية الأدب واللغات على تقديمهم لي يد العون في إنجاز هذا البحث ومساعدتي على إتمامه.

مدخل

الشرق والغرب: المصطلح بين المفهوم والتكـون

تعتبر ثنائية الشرق والغرب" من الثنائيات المتداولة في الخطاب العربي الحديث والمعاصر، إلى جانب ثنائيات أخرى من مثل: "الأصالة والمعاصرة"، "الداخل والخارج"، "الأنا والآخر"، إلى ما هناك من ثنائيات تكاد تكون متكافئة الدلالات، ولمكانة هذه الثنائية - الشرق والغرب - ارتأينا تقديم تعريف لها.

1 - تعريف الشرق والغرب :

وردت هذه الثنائية (الشرق والغرب) في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾. (سورة المزمل، الآية 09)، وقوله أيضا ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ ﴾. (سورة الرحمن، الآية 17)، و﴿ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (سورة المعارج، الآية 40).

نجد أن هذا التعداد لا يتجاوز المعنى الجغرافي، وذلك لأن المقصود بالمشرقين والمغربين - حسب المفسرين - هو مكان شروق الشمس ومكان غروبها، وإلى هذا المعنى تذهب معاجم اللغة العربية، ومن بينها (المعجم الوسيط): " شَرْقَ الْمَكَانِ: أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَأَصْلُ لَفْظَةِ الشَّرْقِ الْغَرْبِيُّ مَأْخُودَةٌ مِنْ ORIENS. وَتَعْنِي الشُّرُوقُ فَإِذَا كَانَ الْغَرْبُ هُوَ الْمَوْقِعُ حَيْثُ تَغِيبُ الشَّمْسُ، فَالشَّرْقُ هُوَ الْمَكَانُ الْمُقَابِلُ لَهُ".¹

اتخذ مصطلح الشرق " من جهة ثانية من التباين الزمني أحد الفواصل الأساسية لتمييز العالمين الشرقي والغربي، وتحديد موقعهما من التاريخ، وعلاقته بسياق التطورات الحضارية، إذ يعد "الشرق اسم أطلقه الأوروبيون الكاثوليك، على البلاد التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، منذ أن انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطريها المعروفين. ومن ثمة أطلقه الأوروبيون على بلاد الإسلام فيما بعد. وكان مدلول هذا المصطلح يضيق، فلا يشمل إلا سورية ومصر وبلاد الرافدين، ويتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية، فارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليها من بلدان آسيا.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج 1، ص 480.

إلا أن المقصود بالشرق غالبا: " الشرق الأصلي " التقليدي القديم، الذي كان الجار المنافس لأوروبا اليونانية والرومانية، ثم لأوروبا المسيحية، منذ أن قامت جيوش أحد كبار الأكاسرة الفرس باحتلال اليونان، إلى أيام انسحاب مؤخرة جيوش العثمانيين.¹

نظرا لاتساع الرقعة، وتنوع الحضارات والثقافات، قسم هذا الشرق إلى مشارق شاعت أسماؤها، لاسيما بعد الاكتشافات الجغرافية " فتعبير الشرق الأدنى الذي بدأ استعماله أواخر القرن الماضي، كان يعني المناطق الواقعة في جنوب شرق أوروبا والخاضعة للدولة العثمانية، فقد كان أدنى جغرافيا ومعنويا، لأنه كان أوروبا ومسيحيا، ولكنه كان شرقا كذلك، لأنه مازال تحت حكم العثمانيين وإن كان الأمريكيون قد وسعوا مدلول الشرق الأدنى ليشمل مناطق أكثر إمتداد نحو الشرق في أوروبا وآسيا وأفريقيا... وابتداء من عام 1902، شاع استخدام مصطلح الشرق الأوسط، الذي استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية والمؤرخ صاحب نظرية القوة البحرية في التاريخ " ألفريد ماهان - **Alfrid Mahan** " ²، ومن هنا أصبح مصطلح " الشرق " ملتصقا بالغرب رغم أنهم لم يتعارفوا عليه وليسوا هم واضعيه، فالغرب باتوا يستخدمون هذا المصطلح السياسي الغربي الخاوي من أية علاقة تربطهم به، والذي وجد فيه ساسة أوروبا الفرصة التي تجنبهم استخدام إسم الوطن العربي أو المنطقة العربية، لأن الشرق الأوسط بعرفهم يضم فسيفساء من الأقوام والشعوب والأديان، وليس فيه مجال للوحدة والانسجام، والتسمية سياسية غربية رأسمالية، تستقطب دولا غير عربية، وتستبعد دولا عربية.

يعتبر "الغرب" الاسم الطبيعي لمواجهة " الشرق " لذا وجب علينا أن نقدم له هو الآخر تعريفا مبسطا يزيل عنه الإبهام، إذ يقول أحد الأوروبيون: " لقد اعتدنا نحن الأوروبيون من مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي ننتمي إليها، اسم الغرب، ولم يعد هذا التعبير يعني

¹ لويس برنارد، الغرب والشرق الأوسط، تر: نبيل صبحي، وزارة الثقافة، دط، دت، ص02.

² المرجع نفسه، ص01.

وضعا جغرافيا خالصا، بقدر ما يعني كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا...¹، ولهذا يرتبط مصطلح " الغرب " بمجموعتين من البلدان الأوروبية، فقد وضعوا مصطلح يميزهم عن باقي الدول الأخرى، وتبعدهم عن الارتباط بالشرق. فلم يعد الشرق والغرب اتجاهين على الأرض، بل أصبحا بالضبط تحديدين ميثافيزيقيين.²، فالشرق والغرب بالمعنى المتداول لهما مصطلحان لا يعينان شيئا من الناحية الجغرافية، فلا الوطن العربي يقع شرق أوروبا، ولا أوروبا تقع غرب الوطن العربي، وهما مصطلحان في ظاهرهما يدلان على مناطق جغرافية، ولكن يراد بهما أشياء غير جغرافية. فالشرق كاسم لبلادنا لا علاقة لنا به، ولم نطلقه نحن على بلادنا. أطلق العرب اسم المشرقين على سكان بلاد ما وراء النهر - فارس وما يليهما شرقا - وأطلقوا اسم المغرب والمغرب الأقصى على البلاد التي عرفت فيما بعد بمراكش، ودرجت كلمة " الغرب " و " المغرب " في القرون الوسطى على السنة الكتاب المسلمين، ولم يكن يقصد بها أوروبا المسيحية فلإسلام غربه الخاص به، في شمال إفريقيا والأندلس،³ ومن الطبيعي أن يطلق مسلموا المغرب على مسلمي مصر والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية اسم المشاركة، وعلى بلادهم اسم " المشرق ".

تحول مصطلح الشرق والغرب إلى أداة لتمييز التناقض والتعارض الحاصل بين هذين العالمين، فالغرب هو " الأنا " والشرق هو " الآخر "، وهذا الآخر يتحدد جغرافيا بحسب موقعه من الأنا، ومن الملفت للانتباه أن العناية الغربية بعالم الشرق ذات جذور وأبعاد تاريخية موهلة، فالمستكشفون والمفكرون الغربيون سعوا إلى استكشاف الشرق والالتقاء به ودرسوه واستوعبوه، وعمد إلى تنويجه ليحتل عرش الديانات والخيال الثقافي ونجد في المقابل أن الشرق لم يسع لدراسة الغرب بالطريق نفسهما.

¹ المرجع السابق، ص34.

² العروي عبدالله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1981 م، ط1، ص08.

³ ينظر، لويس برنارد، الغرب والشرق الأوسط، ص37.

II / مفهوم الشرق في الغرب:

كان الغربي متوسط الثقافة بالبلاد العربية " وما يزال بالغ الجهل بتاريخ بلاد الإسلام وبمصيورها الثقافي. حتى لو تعلم - لغايات نفعية أولا - لغتها، فقد كانت تعوزه الأسانيد لإدراك جذور وطموحات مخاطبيه"¹، فالغرب كانوا يجهلون الكثير عن العرب، وبالرغم من جهلهم هذا، إلا أنهم كانوا مصممين على الابتعاد عنهم، وعدم الاختلاط بهم والتقرب منهم، لتبادل المنافع بينهم. إن عديدا من المختصين الغربيين القادرين على مراجعة النصوص إقتصروا لوقت مديد على أحكام قاطعة، كان الاستشراق في بدايته يأخذ بسداجة نقاط إعماده من الثقافة الغربية وحدها، ومن هنا قساوته اتجاه الأخرى.² بالرغم من أن الثقافة الإسلامية العربية هي الأخرى لها معالم ونقاط اعتماد لا يستهان بها، والمتأمل لصورة الشرق في آثار الأدباء الغربيين يلاحظ أنها تتسم بسمتين رئيسيتين، إحداها تكمن في رؤية الشرق بعين أوروبية وليس بعين شرقية أو بالأحرى ليست واقعية، والأخرى تظهر أن صورة الشرق تلبى من الناحية الإنتاجية والاستقلالية حاجات ثقافية أوروبية، وعلى رأسها حاجتان هما: الحاجة إلى الغرائبية والحاجة إلى تأكيد الهوية الخاصة.³ فللغرائبية سمة ترفيحية وذلك لما تحتويه من إثارة، وكذلك فإن الأوروبي الذي يواجه بصور الشعوب الأخرى يصبح أكثر تمسكا بهويته الثقافية، فهو يكشف مدى تفوق حضارته على الثقافات الأخرى.

يرى المستشرقون -عموما- أن ما في التاريخ العربي الإسلامي من أمجاد ونقاط مضيئة لا يعود للإسلام أي فضل فيه، "فإذا كانت إمبراطورية الخلفاء عرفت عهدا سنية، فإنما الفضل لرفد اليونان والفرس... كان كل شيء يفسر بتأثير خارجي، وكان الوضع الحالي برهانا مبينا، على أن الإسلام متروكا لنفسه لا يمكن أن ينجم عنه مجتمعات متخلفة

منغلقة

¹ غارديه لويس، أهل الإسلام، تر: صلاح الدين برمدا، وزارة الثقافة، سوريا، ط1، 1981م، ص327.

² ينظر، المرجع نفسه، ص327.

³ ينظر، ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دراسته، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط،

وليس إلا أن نذكر كمثال بالآراء العجيبة وبالافتراءات الصادرة بحق الإسلام عن مثل "أرنست رينان **Arniste Rinane**"، الذي أسهم مع ذلك في تعريف مكانة الإسلام في تاريخ الأفكار...¹ فالمستشرقون كانوا يستهينون بقدرة الإسلام على تنمية البشرية وينكرون فضله في تطور الإنسانية.

اعتبرت المجتمعات والحكومات الغربية ومراكز صنع القرار، أن المستشرق خبير مطلق الصلاحية في شؤون الشرق الإسلامي، يجب الاستماع إلى ملاحظاته ومقترحاته وأخذها بعين الاعتبار، "ليس من الممكن سحق المعارضة العربية كلياً، ولا التسليم بكل مطالبهم، واستعمال إحدى الطريقتين منفردة لن تؤدي إلى تقدم مصالح الغرب في العالم العربي."² ومن هنا نجد التساؤل المطروح الذي يفترض علينا أن نضعه، هل لهذا الخبير كفاءة كافية تمكنه من فهم التركيبة الاجتماعية والسياسية... للإسلام؟، وهل توجد عنده القدرة العالية في التحكم والتعامل مع موضوعات بحثه؟ ومن جهة أخرى، هل يصح من الناحية العلمية البحتة، ومن الناحية الأخلاقية. ان يكون البشر موضوعاً للاختبار؟.

اعتمد الغربي في معرفته بالشرقي على أفكار شائعة، وأحكام مترسبة في وجدانه، بدل أن ينتج وعياً مطابقاً لمجتمعات تاريخية وواقعية، ومن جديد فإن المعرفة بالعروق المحكومة "الشرقيين" هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً. فالمعرفة تمنح القوة ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة... وهكذا في حركية المعلومات السيطرة متنامية الأرباح باستمرار.³ فالكثير ممن كتب عن الشرق من الغربيين، لم يكن مؤهلاً من الناحية العلمية والمنهجية للكتابة التي تخرج عن النطاق العلمي الدقيق وتدخل - معظمها - في باب التخيل.

ينبغي الإشارة إلى "أن دوافع الرحالة الأوروبيين إلى الشرق لم تقتصر على الهروب من الواقع القاسي الذي كانت تعيشه أوروبا خصوصاً أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية، فالشرق يشكل للغرب" وسيلة للهروب من المجتمع الغربي الذي لم يجلب للإنسان سوى الدمار."⁴

¹ غارديه لويس، أهل الإسلام، ص338.

² لويس برنارد، الغرب والشرق الأوسط، ص222.

³ سعيد إدوارد، الإستشراق، المعرفة، السلطة الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص189.

⁴ ماجدة حمود، صورة الشرق لدى هرمان هيسة، مجلة دمشق، المجلد 19(2+1)، 2003 م، ص74.

والمتمعن في رحلات الأوروبيين إلى الشرق سيدرك أن ثمة أسباب أخرى غير الهروب من الحروب، حيث نجد الكثير من العلماء ورجال الدين وأيضا هواة السفر قد انشغلوا بالشرق، فقد أضحى كل ما يتعلق به أمرا عجيبا وغريبا في كثير من الأحيان، فليالي الصحراء تختلف كثيرا عن أجواء أوروبا الباردة وعادات وتقاليد الشرقيين تختلف أيضا عن عادات الأوروبيين، " في الواقع أن ما كان يبحث عنه الرحالة منذ القرن السابع عشر في البلاد البعيدة هو: صورة الإنسان الأبدي، وجذوره وصراعاته والنتائج التي اكتسبها، والإمكانية التي كانت بحوزته والتي تسمح له ببلوغ حياة أجمل وأفضل.¹ ومن كل هذا نكتشف أن الرحالة الأوروبي لم ينظر إلى للشرقي بصورة تقتصر على الجانب السلبي فقط، وإنما ظهر العديد من الرحالة الذين يسافرون إلى الشرق بدافع معرفته عن قرب والتجوال في طبيعته واكتشاف خباياه وأسراره.

III / مفهوم الغرب في الشرق.

أنشأ الشرق هو الآخر مفهوما للغرب، وقد تأرجحت آراءه بين السلب والإيجاب، وبذلك انقسمت مواقفه إلى موقف إعجاب به وموقف رفض له، وهناك من العرب من فضل الوسطية بينهما.

ومن بين المعجبين بالغرب نجد: " سلامة موسى"، الذي أعطى للغرب صورة العالم المنظم والمتفوق والعقلاني، فهو لا ير في هذا العالم إلا الجانب الإيجابي الذي يمنعه من رؤية الحقائق بموضوعية، إذ يقول: " هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي، سرا وجهرا، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب. وفي كل ما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزعات التي إتسمت بها أوروبا في العصر الحديث، وأن أجعل قرائي يولون وجوههم نحو الغرب ويفصلون عن الشرق، لأنني أعتقد أن لا رجاء لنا بالنجاح في العالم إلا بذلك."² ويؤكد على هذه الدعوة مرة بعد مرة فيقول: " إذا كانت الشمس تشرق من الشرق، فإن النور يأتينا من الغرب."³

¹ مي عبد الكريم محمود، تائهون في صحراء الإسلام: صورة الصحراء العربية في كتابات الرحالة والمستشرقين الفرنسيين، الأهالي، سوريا، ط1، 2003 م، ص 07.

² موسى سلامة، اليوم والغد، المطبعة العصرية، مصر، ط1، 1927 م، ص 256.

³ موسى سلامة، الأدب للشعب، الأنجلو، مصر، ط1، 1956 م، ص 12.

يدعو هذا التيار للالتحاق بالمشروع الغربي للحضارة دون تقيد أو شرط، والأكيد أن هذه الدعوة أخفقت، وهذا راجع إلى أن الشرق ما دام متمسكا بالكثير من المبادئ التي تؤكد امتلاكه للحضارة، فإنه لن ينصاع إلى الكثير من التيارات الداعية إلى الميل إلى الغرب والإلتحاق بكل ما يخصه وخاصة حضارته، حيث " كان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر حتى 1880 م، زمن مجابهة عنيفة بين دار الإسلام والغرب الحديث، حسب حركة متواترة، من تأثيرات مقبولة كضرورة تحديث، وبين حقد يتزايد، طراد ضد محاولات الإخضاع. " ¹ وربما كان هذا هو سر التمزق الذي واجه الفكر العربي الإسلامي في علاقته مع الغرب، إذ نجد أن العرب لم يمانعوا التعامل مع الغرب، لكنهم كانوا يرفضون الخضوع والاستلاب أمامه.

وهنا يظهر " يظهر زيف مقولة أن الطريق واحد، وأن الهدف واحد، وأن حاضر هذه الشعوب ما هو إلا ماضي الغرب، وما علينا إلا إتباع النموذج الغربي الجاهز... وبدأنا نسمع في محافل الكثير من المنظمات الثقافية الكبرى في العالم، أحاديث عن البعد الحضاري في التنمية، وعن أخطار تطبيق النموذج الغربي الجاهز، الأمر الذي لا يعن في النتيجة إلا أن التغيير يحدث عندما نجعل أشياء تحل محل أشياء، وأفكارا ومقولات محل البناء الحضاري الموجود، مما أدى إلى تعطيل الكثير من الوظائف الحضارية وإلى تفكك النسيج الاجتماعي، وبعثرته، وإفقاده الوزن، مما جعله يترنح تائها حيرانا. " ² ومن هنا نتأكد من شبه إستحالة أن نكون عربيين، " لأن ذلك يجعل من كائنات مستغربة، لا نكون نحن ولا نكون الآخر. " ³ ونصبح مشنتين تائهيين، فلا نحن بشرقيين متأصلين، ولا نحن بغربيين مقلدين، لهذا هناك من وجد أن الوسطية هي خير الأمور، هذا لأن للحضارات الإنسانية دورات تاريخية، ويتبادل فيها التابع والمتبوع معارف وثقافات، لكن التاريخ علمنا أن التبعية والتقليد مهما أحكمت حلقاتهما لم يصل إلى حد التماثل الحضاري، أو التماهي المطلق مع الحضارة القوية، ومن هنا ظل الصراع الحضاري قائما، وسيبقى على حد قول " محمد عمارة": وإن كنت أفضل أن أستبدل عبارة التفاعل الحضاري بالصراع الحضاري، التفاعل الذي يذكيه التمايز، وهذا التمايز إنما هو الخصوصية الثقافية لكل حضارة، وقد قدم لنا

¹ غارديه لويس، أهل الإسلام، ص: 312.

² أمين جلال أحمد، المشرق العربي والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1980 م، ص 102.

³ العروي عبدالله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، ص 86.

التاريخ أمثلة فذة عن التفاعل الحضاري المتوازن، حيث لا انغلاق ولا ذوبان، ومن ذلك التفاعل الحضاري الذي عرفته أمتنا - والعالم حينها - حيث انفتح العرب والمسلمون على الحضارات الأخرى، فميزوا بين الإنسان والعالم فاستلهموه، ووظفوه ولكن بعد أن أخضعوه لقيم وأخلاق الأمة، ونظرتها إلى الذات والكون والآخرين أما الخصوصيات الحضارية المتمثلة في الثقافة المغايرة، والمعتمدة على منظومة القيم والأخلاق المختلفة فقد أهملوها¹، فلكي نكون علاقة مثمرة مع الغرب، وجب علينا عدم الانبهار بكل ما يأتي من عنده، لأن عاداته ودينه وثقافته بعيدة كل البعد عن عقليات مجتمعنا، في حين أن له ميزات تجعلنا متطورين منمين للجانب الطبي والهندسي... لهذا فنحن مطالبين بإمساك العصي من وسطها، نأخذ المفيد والمسموح، ونترك الضار والمحظور، فخير الأمور أوسطها، وهذا لبناء علاقة إيجابية نقوم على الأخذ والعطاء بعيدا عن التعصب الذي يعمي الأبصار.

¹ ينظر، عدد من المفكرين العرب، التراث والهوية، ندوة، دار الكلمة، بيروت، لبنان ، ط1، 1984 م، ص18.

الفصل الأول

صورة الآخر: المفهوم، التشكل والمرجعيات

يقال مفاتيح العلوم مصطلحات، وتعد مشكلة تحديد المصطلح، من بين المشاكل التي كانت ولا زالت تخلق تضاربا في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ، ولعل من أهم المصطلحات التي شاع ذكرها في مجال النقد والأدب القديم والحديث على حد سواء مصطلح " الصورة " " image "، برز مفهومها النقدي في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

1 - الصورة: الماهية والمصطلح :

1 - الصورة لغة:

جاء في التعريف اللغوي للصورة في " مقاييس اللغة " " لأحمد بن فارس بن زكريا " مادة (صور) بقوله: " الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَبَايِنَةٌ الْأُصُولِ... وَمِنْ ذَلِكَ الصُّورَةُ، صُورَةٌ كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَالْجَمْعُ صُورٌ، وَفِي هَيْئَةِ خَلْقَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الصَّوْرُ، جَمَاعَةٌ النَّخْلِ وَهُوَ الْحَائِشُ، وَلَا وَاحِدٍ لِلصَّوْرِ مِنْ لَفْظِهِ، وَذَلِكَ الصَّوَارُ، وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ، وَالْجَمْعُ صَيْرَانٌ."¹

ونجد تعريفا آخر " للصورة " وذلك في "المعجم الوجيز": " صَوْرُهُ، جَعَلَ لَهُ صُورَةً مُجَسِّمَةً، وَصَوَّرَ الشَّيْءَ أَوْ الشَّخْصِيَّةَ: رَسَمَهُ عَلَى الْوَرَقِ أَوْ الْحَائِطِ وَنَحْوَهُمَا بِالْقَلَمِ أَوْ الْمَرِحُونِ أَوْ بِأَلَةِ التَّصْوِيرِ، وَصَوَّرَ الْأَمْرَ، وَصَفَهُ وَصَفًا يَكْشِفُ عَنْ جُزْئِيَّاتِهِ، (تَصَوَّرَ) تَكَوَّنَتْ لَهُ صُورَةٌ وَشَكْلٌ، وَتَصَوَّرَ الشَّيْءَ: تَخَيَّلَهُ وَأَسْتَحْضَرَ صُورَتَهُ فِي ذَهْنِهِ "²

وجاءت الصورة في " لسان العرب " : " وَالْجَمْعُ فِي صَوْرٍ وَصَوْرٍ، وَقَدْ صَوَّرَهُ الْجَوْهَرِيُّ: وَالصَّوْرَ بِكَسْرِ الصَّادِ هِيَ الصَّوْرُ جَمْعُ صُورَةٍ."³

¹ أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979م، ج3، ص 319، 320.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، نشر مجمع اللغة العربية، ط1، 1980 م، ج1، ص 373.

³ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، ص 1325.

يعرفها أيضا " ابن الأثير " قائلا: " الصُّورَةُ تَرْدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَعَلَى مَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَهَيْئَتُهُ، وَعَلَى مَعْنَى صِفَتِهِ، يُقَالُ صُورَةُ الْفُلِّ كَذَا وَكَذَا أَيَّ هَيْئَتُهُ وَصُورَةُ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا أَيَّ صِفَتِهِ " ¹

أما في القاموس المحيط فيعرفها: "الفيروز أبادي" بقوله: " فالصُّورَةُ بِالضَّمِّ الشَّكْلُ صُورٌ وَصِوْرٌ كَعِدْبٌ ...، وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى النَّوْعِ وَالصَّفَةِ " ²

ومن كل هذه التعاريف اللغوية التي أوردناها، نجد بأن للصورة عدة مدلولات، فقد تغني الهيئة أو الصفة أو النوع.

وردت كلمة " صورة " أيضا في القرآن الكريم عدة مرات، كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل، والرؤية، والمعاني التي ميز بها، وإلى الصورتين أشار تعالى بقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (سورة آل عمران الآية 06)، وقال أيضا: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (سورة غافر الآية 64)، وقال تعالى ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (سورة الإنفطار الآية 81) .

و"تحدث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الصورة فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾، أراد بها ما خص الإنسان به من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله تعالى على سبيل الملك لاعلى سبيل البعضية والتشبيهة تعالى الله على ذلك " ³

ونجد مرادفات وأضداء للصورة، تزيل عنها الغموض، لتزيدها وضوحا أكثر، فهناك أشياء تعرف بأضدادها، ومن بين مرادفات الصورة: صورة، هيئة، شكل، أيقونة، رسم خلقه، سمياً .

¹ المصدر السابق، ص 2523.

² الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دط، 2005 م، ص 428.

³ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تح: نواف الجراح، دار الأبحاث للترجمة والنشر، ط1، 2011 م، ص 209.

أما بالنسبة لأضدادها نجد: " سريرة ، طوية، دخيلة، ضمير، داخلة. " ¹ نلمح أن للصورة image " حظ وافر من الإهتمام وكم هائل من التعاريف التي جئنا بالقليل منها.

-2- الصورة إصطلاحاً :

حظي المصطلح " الصورة " بإهتمام بالغ من الدارسين والباحثين خاصة المهتمين بالأدب المقارن، ومرد ذلك إلى طبيعة المصطلح نفسه، وإرتباطه مع مصطلحات أخرى مثل: " الصورة الفنية "، " الصورة البلاغية "، " الصورة البيانية " و" المجازية " .

إرتبطت الصورة بالخطاب، حيث نجد أن " هذا المفهوم مستوحى من خطابة "أرسطو" (1378م) والذي كان يعني بها الصورة التي يعرضها الخطيب ضمناً عن نفسه من خلال طريقته في الكلام. " ² فتتضح صورة الإنسان المتحدث من خلال طريقة كلامه وهيئته، ثم سخر "هذا المفهوم في تحليل الخطاب من قبل " مانغونو" (1984، 1991، 1993)، كرد فعل على التصور البنيوي للنص، فكل خطاب أكان مكتوباً أو شفوياً يفترض صورة: فهو يستلزم نوعاً ما من التصور للجسد لدى الضامن عليه، والمتلفظ الذي يضطلع بالمسؤولية المترتبة عن ذلك. " ³ فكلام المتلفظ يكون صادراً عن سلوك شامل وبيّز ذلك في طريقة تحركه ولباسه وهذا ما يظهر صورته لدى الطرف الآخر، فلا يجب عزل الصورة عن المعايير الأخرى للخطاب.

-3- الصورة في الأدب المقارن :

حاولنا فيما سبق، أن نعطي تعريفاً للصورة عامة، والمفاهيم الآتية ستكون مخصصة لتعريف الصورة في الأدب المقارن، وسنحاول فيما يلي أن نوجز أهم هذه المفاهيم:

¹ الضناوي سعدي، جوزيف مالك، معجم المترادفات والأضداد، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، دط، 2010، ص378.

² دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر: محمد يحيان، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط1، 2008 م، ص51.

³ المرجع نفسه، ص52.

يقول " دانيال هنري باجو Daniel-Henri pageaux " أن: " كل صورة تتبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر، (وبهنا) بالمقارنة مع مكان الأنا والآخر... من الواقع الثقافي.¹ فالصورة برأي "باجو" تتعلق بطبيعة التواصل بين الأنا والآخر، ويكون ذلك في إطار ثقافي محدد، لذا أصبحت الصورة في رأي "باجو"، "مجالا واسع الاهتمامات، يأخذ فيه المخيال الإجتماعي النصيب الأوفر، ومنه يتجلى للباحث عند دراسة الصورة أنها بالدرجة الأولى مجموعة أفكار عن الأجنبي مأخوذة ضمن إطار إجتماعي وأدبي... تجبر الباحث إلى جانب إهتمامه بدراسة النصوص الأدبية وظروف نشأتها وتوزيعها ونشرها، على الإهتمام أيضا بكل أداة ثقافية إستعملت لكتابة هذه النصوص. فتصبح دراسة الصورة كاشفا وموضحا لوظائف أيديولوجية مختلفة كالتغريبية والعنصرية، وغير ذلك"². والقول بأن " الصورة هي ترجمة للآخر، وهي أيضا ترجمة ذاتية"³، معناه أن الصورة التي تنطبع في ذهنية الأنا عن الآخر، إنما هي ترجمة ذاتية له، تعكس إنطبعا شخصيا ووجهة نظر خاصة قبل أي شئ آخر.

نجد أن البعض يعرف علم "الصورة imagologie"، " لماجدة حمود" تقول: "هي تعبير أدبي مستمد من نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين، أي المكان الذي نشأت فيه الصورة، أي بلد الناظر والمكان الذي تقدمه الصورة أي البلد المنظور إليه."⁴ فالصورة تتكون وتتحقق، من خلال إختلاف ثقافتين معينتين في مكانين مغايرين، وبيئتين متفارقتين لكل من الأنا والآخر، من هنا فهمنا بأن الصورة تستدعي إجتماع الأنا والآخر، لأنه لا وجود دون حضور الأنا، ولا تثبت الأنا وجودها دون الآخر، إذ الصورة " تنشأ عن وعي،

¹ - دانيال هنري باجو، الأدب المقارن، تر: غسان السيد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1997، ص91.

² أمينة سوفلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، في دي موباسان وألبير كامو أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2008، 2009، ص14.

³ عزالدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص194.

⁴ ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص10.

مهما كان صغيرا بالأنا، بالمقارنة مع الآخر، وهنا بالمقارنة مع مكان آخر.¹ فالوعي يتوفر عند المصور مهما كانت درجته، والمكان هو من يحدد الفضاء الذي تبنى عليه الصورة .

يرى "غنيمي هلال" أن الصورة الأدبية للبلاد والشعوب الأجنبية، قد تكون مستوفية الأجزاء، إذا تحدث الكاتب عن المظاهر المختلفة للبلد الآخر، من مناظرة الطبيعة، وعادات وتقاليد ومن طبائع ونظم...، وقد تكون الصورة التي رسمها كتاب بلد ما للبلد الآخر ناقصة مبتورة.²، فصورة الآخر تتجلى من خلال إحاطته بدراسة معمقة مرتكزة على العادات والتقاليد والطبائع والمظاهر المختلفة، وغيرها من الجوانب المتعلقة به وبيئته، وكي تكون الدراسة وافية مكملة، أما ما خلاف ذلك، فستكون مجرد إنطباع مبتور، يستند إلى دراسة سطحية جافة.

تربط "أمينة رشيد" مفهوم الصورة بالمصلحة المباشرة، حيث ترى أن الصورة "كانت دائما لدى الشعوب صورة ما للآخر، تتسم ببعض السطحية، والمصلحة المباشرة...، والصورة تختلف من زمن إلى آخر."³، هذا يعني أن صورة الآخر موجودة في أذهان جل الشعوب، ولكنها تتأرجح بين السطحية، وهي الصورة المتكونة عن شعب ما إنطلاقا من قناعات ذاتية، غير مزودة بحجج وبراهين، فيجب علينا الوقوف عند كل صغيرة وكبيرة تخص الآخر، كي لا تكون صورتنا ناقصة.

¹ بيير برونييل وآخرون، الوجيز في الأدب المقارن، تر: غسان السيد، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، دط، 1999، ص147.

² ينظر، غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 3، 1987، ص 421 .

³ أمينة رشيد، الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص132 .

II - الآخر:

إن الحديث عن الآخر هو الحديث عن أنا أخرى منظور لها من قبلي أنا، لأن كل ذات تتحول من أنا إلى آخر حسب زاوية النظر التي تلاحظ منها لذلك وردت عدة تعريفات في تحديد الآخر ومفهومه .

1 - لغة :

جاءت لفظة - آخر - في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ يَتِيمًا مِمَّا مَنَ الذِّينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْاُولَئِينَ فَيُتَسَمَّنَ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا اَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا عَدَدْنَا اِنَّا اِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة المائدة الآية 107)

وردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى " أحد الشئيين وهو إسم على أفعل ... والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد إستقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكوتها وإِنفتاح الأولى قبلها، وتصغير آخر أويخر، والجمع أحرون، ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث.¹ وأتت كلمة الآخر في المعجم الوسيط كالاتي: " تأخر، والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده، وتقهر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشئيين، ويكونان من جنس واحد ".²

نستنتج أن كلا التعريفين يجمعان على أن الآخر بمعنى الغير والمخالف.

2- إصطلاحا:

إن الآخر في أبسط صورته هو نقيض الذات (الأنا) فهو كل ما كان موجودا خارج الذات المدركة ومستقلا عنها، "وفي تاريخ الفكر، كما في العلوم الإنسانية، احتلت

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص13.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج 1، ص 09 .

موضوعات الآخر - وما تزال - مكانته بارزة نظرا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة: الأنا / الذات - الهوية ... فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقربة والصداقة والجوار، أو كالمنافسة والخصومة والعداء ... وهذه التجارب وسواها تحدد بنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل.¹

تمثل هذه العلاقات الناتجة عن الإحتكاك بين الأفراد داخل مجتمع واحد وبين مجتمعات وثقافات إلى التوصل والإنسجام أو إلى عدم التكافؤ والإختلال والعنف وإلى غير ذلك.

شاع مصطلح الآخر في الدراسات خاصة عند " جان بول سارتر Jean Paul Sartre " و" ميشيل فوكو Michel Foucault " و" جاك لاكان Jacques Lacan " وغيرهم، ولعل سمة الآخر السائرة هي " تجسيده ليس فقط في كل ما هو غريب (غير مألوف) أو ما هو (غيري) بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص إمتد مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التحليل النفسي والفلسفة الوجودية والظاهرية.²

فالآخر بالنسبة إلى " سارتر"، شأنه في ذلك شأن " لاكان"، عامل فعال في تكوين الذات، إذ يرى سارتر أن: وعي الذات الوجود يكون بناء على الطرف الآخر، بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتين لأنه يربط الكينونة بطريقة جذرية وغير مستقلة بين لحظتي "ما كان" و"ما سيأتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة تتصرف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الإختيار، لذلك إختتم "سارتر" مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة الآخرون هم الجحيم.³

¹ بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2003، ص05.

² ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007، ص 21 .

³ ينظر، المرجع نفسه، ص 22.

ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها، ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن الأنا ولكل وجهة نظره.

III- ولادة الصورولوجيا:

تعتبر الصورولوجيا أو علم الصورة أحد فروع الأدب المقارن وأحدث مجالات البحث فيه وأهمها، يتحدث " محمد غنيمي هلال" عن هذا اللون من الدراسات الأدبية بقوله: " هذا أحدث ميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن لا ترجع أقدم البحوث فيه إلى أكثر من ثلاثين عاما: ولكنه - مع حداثة نشأته - عني بالبحوث التي تبشر بأنه سيكون من أوسع ميادين الأدب المقارن وأكثرها روادا في المستقبل.¹، هذا الفرع الأدبي الذي يتيح لنا معرفة الإنسان للإنسان، وعبر هذه المعرفة تبرز لنا الجوهر المشترك للإنسانية، واو تأملنا هذا الجوهر لوجدناه لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخرين، من هنا تبرز أهمية الدراسات المقارنة التي تقوم علاقاتنا مع الآخر، " فدراسة صورة شعب ما في أدب شعب آخر، إنما تدل على وعي للذات والعالم، كما تسهم في تعزيز التفاهم بين الشعوب، وتساعد على نشر لواء الإنسانية، لتسير الشعوب وراءه إخوانا وبذلك تنتهياً خير السبل للتعاون الحق، والتفاهم الصادق بين الشعوب، عن طريق التعرف على الإتجاهات العامة والميولات الفكرية المشتركة للعقل البشري".²

وهكذا أخذت الشعوب تتعرف فيما بينها وتتناقل الثقافات والحضارات، وهذا لم يكن متاحا إلى بوعي الذات بالآخر، الذي يعكس جزءا من سماتها، وكينونتها، ما أجبر الذات على الخوض في محاولات عدة للتعرف على الآخر وثقافته وفكره، وجل خباياه، ولهذا نجد أنفسنا محاطين بجملة من التساؤلات أهمها:

¹ غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 419 .

² المرجع نفسه، ص 346 .

- متى بدأت دراسة صورة الآخر في الأدب المقارن ؟
- ماهي أسباب تباين صورة الأنا والآخر ؟
- ماذا تفيد دراسة الصورة الأدبية للآخر ؟
- كيف يتم تلقي صورة الآخر؟

1- البدايات الأولى لدراسة صورة الآخر في الأدب المقارن: وجب للحديث عن

صورة الآخر في الأدب المقارن، تتبع بداياتها الأولى، أو على الأقل محاولة الكشف عن العلامات الأولى لما يسمى " الصوراتية " أو " الصورولوجيا " " l'imagologie "، هذا العلم الذي ترجع بداياته إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما قامت الأدبية المعروفة " مدام دوستال Madame de staël " بزيارة طويلة لألمانيا، وكانت محصلة رحلتها كتابا وضعت له عنوانا بسيطا هو " ألمانيا " " 1811 م "، وفي هذا الكتاب نقلت صورة الشعب الألماني بكل موضوعية وصدق واصفة إياه بالطيبة والإستقامة والصدق، في حين أن الفرنسيين رسموا لصورة فظ غير متحضر.¹ فالتمتعن في رحلة السيدة " دي ستايل " سيلاحظ حتما ذلك التباين في الآراء، فصورة الألمان لدى الفرنسيين تختلف تماما عما جاء في كتابها الذي أبدت فيه إعجابها الشديد بألمانيا، وبسحر طبيعتها، وصولا إلى أدب ألمانيا الرفيع، فالكاتبة تقدم تصحيحا مخالفا لتلك الصور السلبية التي ترسخت في أذهان الفرنسيين، كيف لا وهي تكشف من خلال رحلتها هذه كل الجوانب الإيجابية التي يتمتع بها الشعب الألماني .

لعل هذا الكتاب شكل نقطة إنطلاق الدراسات حول صورة الآخر، طبعا دون إغفال باقي الرحلات التي كانت تهدف إلى البحث عن صورة الإنسان، حيث تعد " دراسة صورة الأجنبي وتجلياته... لقد بدأت هذه الدراسة مع " جان ماري - كاريه "، ثم أخذها " ماريو - فرانسوا

¹ ينظر، ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دراسة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، دط، 2000 م، ص110.

غويار" ودافع عنها ونشرها في فصله الأخير من كتابه الصغير ضمن سلسلة (كوسيج - ماذا أعرف) عام 1951 م الأجنبي كما نراه .¹، وقد تلت هذه المحاولات دراسات أخرى، من بينها رسائل تنطوي تحت عنوان الصورة، ونذكر منها: " رسالة أندريه منشو، ورسالة شوفان الموسومة ب (ألمانيا P.V.F، 1943 م)، ورسالة ميشال كادو (صورة روسيا في الحياة العقلية الفرنسية - 1829 م- فايارد، 1967 م) ..."²، وغيرها من الرسائل، ومن كل هذا، يتضح لنا أن الإرهاصات الأولى للصورولوجيا " تعود إلى الغرب، فهم السباقين في تصوير الآخر، وكل ما يتعلق به من ثقافة وديانة وعادات وتقاليدها وغيرها من الأمور التي تتعلق به، في حين نجد العرب تأثروا بهذه الدراسات، ورسموا عليها خطوات إتبعوها في نقل ملامح الآخر في صور متنوعة، تباينت بين الذاتية والموضوعية .

-2- أسباب تباين صورة الأنا عن الآخر :

أشرنا إلى صورة الآخر الواردة في مختلف الرحلات والترجمات، هذا يعني بالضرورة الحديث عن ذلك التنوع والتباين في هذه الصور، فتشكيل صورة الأنا عن الآخر، يقوم أساسا على تنوع الثقافات والخصوصيات التاريخية وكذا الفكرية، فنجد أن التباين كبير بين صورة شعب من الشعوب في أدبه القومي (صورة الأنا) وبين ذلك الشعب في الآداب الأجنبية (صورة الآخر)، فالنوع الأول - صورة شعب في أدبه القومي- لا يتعدى إطاره القومي اللغوي، مثل صورة الفرنسيين في أدبهم، وصورة الألمان لدى أديب ألماني، وهذا النوع الذي تكون فيه الأنا صورة للأنا ذاتها، وتنطوي هذه الصورة على بعد معرفي مؤثر، ويسهم في تشكيل الوعي الجماعي، ليرى الشعب صور نفسه، فيكتشف ما به من عيوب ويسعى إلى تصحيحها.³

¹ دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص 89 .

² المرجع نفسه، ص 89، 90 .

³ ينظر، جابر عصفور، المرايا المتجاورة- دراسة في نقد طه حسين -، دار القباء، مصر، دط، 1998، ص98.

إن صورة الأنا تستند إلى " تجارب وخبرات غنية وكافية قام بها الأديب في المجتمع الذي يصوره، إذا ولد ونشأ فيه، ... وهكذا فإن المعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية، وذلك خلافا لصوره يقدمها أديب لشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة. " ¹، فالأكيد أن الأديب الذي ولد ونشأ في مجتمع حين يصوره يجيد تصويره، لأنه يعرف العديد من المعارف عنه، فنجد متيقنا من الصورة التي أعطاها عنه، فمثلا عندما يعطي صورة عن أبناء مجتمعه تكون هذه الصورة، دقيقة ومؤكدة، لأنه يعرفهم عن كثب ن وتربطهم بهم علاقات إجتماعية، كالقراية والصداقة، في حين نجد الأجنبي لا تتحقق لديه هذه الرؤية، فلا يجيد تصوير مجتمع غريب عنه، فتكون الصورة المقدمة عن ذلك المجتمع تخالف حقيقته، وهناك سبب آخر " يتمثل في أن الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك المجتمع، وهو مرتبط به ماديا واجتماعيا ونفسيا وأخلاقيا. " ² وبهذا يستطيع الأديب أن يقدم صورة عن بلده، تكون حاملة لطابع العلاقة الإجتماعية والنفسية والأخلاقية الوثيقة التي تشد الأديب إلى مجتمعه، وهذا ما يشكل هويته.

والنوع الثاني الذي يقابل ويتباين مع " صورة الأنا " هو "صورة الآخر"، ويظهر هذا النوع من خلال صورة شعب في أدب شعب آخر، " ولعل من الضروري وجود نسبة من الإهتمام المشترك بين شعبين لكي يكون أحدهم صورة في أدبه عن شعب آخر، لأن الإهتمام هو الدافع إلى رصد علاقات الشعوب متأثرة بشعوب أخرى، فنجد مثلا صورة فرنسا في بريطانيا، صورة روسيا في الحياة الثقافية الفرنسية. " ³ ونلمح شقين في هذا النوع من الدراسات وهما :

"صورة شعب كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى، وتأتي هذه الصورة بعدما يتأثر أديب معين من شعب آخر، ونتيجة لذلك التأثير يرسم صورة للشعب الذي تأثر به في أعماله الأدبية، وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود، أما

¹ ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 111 .

² المرجع نفسه، ص 111 .

³ عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986، ص 69 .

فيما يخص الشق الثاني، فيتعلق بصورة شعب في شكل أدبي معين لدى شعب آخر، وتنتج عن طريق تأثير شعب في آخر، وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تأثير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية أو الشعر.¹، ومن كل هذا يتضح لنا التأثير الموجود بين الأنا والآخر، ويظهر ذلك من خلال أعماله الأدبية، فكل طرف صور الآخر بطريقته وحسب نظرته.

-3- أهمية دراسة الصورولوجيا :

يعد مجال الصورة من فروع الأدب المقارن المستحدثة قياسا بنظيراته من الدراسات الأخرى كالتأثير والتأثر، حقل الموضوعات ...، و"هذه الحداثة هي التي جعلت دراسة الصورة أمرا صعب المنال خاصة من حيث المنهج، ولكن رغم ذلك فقد حضيت هذه الدراسة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي بإهتمام الباحثين والدارسين المقارنين، وبدأوا يكرسون جهودهم في التعريف بها، وتطوير حقل دراستها".²، حتى غدا مصطلح الصورة من أهم المصطلحات وأكثرها ترددا على ألسنة الباحثين، إذ لا يخل كتاب في الأدب المقارن إلا ويحوي بين دفتيه هذا المجال، فنجد الباحثة " ماجدة حمود " يرى أن الصورولوجيا " تفيد في توسيع أفق الكتابة والتفكير والحلم بصورة مختلفة".³، فالعديد من الأدباء يهربون خياليا من واقع مجتمعاتهم التي لا يحبذون الكثير فيها، إلى مجتمعات يتخيلونها ويرسمون ما يرغبون فيه، وبهذا قد يتحرروا من قيود تأسرهم، وتضييق عليهم، فيتعالون بكتاباتهم ويوسعون فيها، ويتعرفون على آخرين قد يضيفون الجديد لشخصياتهم، فالصورة الأدبية للآخر، " إغناء للشخصية الفردية من جهة والتعرف الذاتي من جهة أخرى، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الإنفعالات المكبوتة تجاه الآخر، أو في التعويض

¹ ينظر، محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 91 .

² أمينة سوفلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، ص 14 .

³ ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 114.

وتسويغ أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه.¹، ونلاحظ فائدة أخرى كامنة وراء دراستنا للصورة الأدبية للآخر، إذ نجد أنها: " تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب فتسهم في إزالة سوء التفاهم، وتؤسس لعلاقات معافاة من الأوهام والتشويه السلبي والإيجابي.²، فمثلا هناك أدباء مستشرقون منصفون قاموا بدورهم في نقل صورة العرب والإسلام بكل موضوعية وأمانة، فبالرغم من أنهم غربيون إلا أنهم كانوا حرصين على إعطاء صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين .

-4- وسائل تلقي صورة الآخر:

إستجد الأنا في معرفته للآخر بالكثير من الوسائل والآليات، حيث بحث كثيرا ليفك الألغاز التي كانت تحوم حول الآخر، فأخذ يقرأ كتاباته، ويشاهد لوحاته، ويتعرف على مختلف عاداته وتقاليده، ومن بين الوسائل المساهمة في تشكيل صورة الآخر:

* الرحلة :

يتفق أغلب الباحثين والنقاد، أن التربة الخصبة لعلم الصورولوجيا "l'imagologie" هي "الرحلة"، فالرحالة ينقلون لنا تجارب رحلاتهم وتصوراتهم حول الآخر، " فللمهاجرين والرحالة من الكتاب فضل كبير في تكوين هذه الأفكار فهم الذين ينتقلون من أممهم، ويصفون في أدبهم صور ما شاهدوا في البلاد الأخرى"³ وهكذا وصلتنا صورة الآخر، فللرحالة الجميل في تزويدنا بما رأوه وعاشوه وأكتشفوه في البلدان الأجنبية، ناقلين لنا وجهة نظرهم ورأيهم في الآخر.

يأخذ عمل الرحالة طبيعة مختلفة في كل مرة حسب الموقع، إذ "يمكن أن نعتبر كل واحد من هؤلاء الرحالة مركز إستقبال وإرسال، فهو يستقبل ما عند الآخرين، ويرسل إليهم ما عنده، وهو بهذه الصورة مستقبل جيد، ومرسل جيد، والإستقبال والإرسال ضروريان في

¹ المرجع السابق، ص 114 .

² المرجع نفسه، ص 114 .

³ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 420.

الأدب لنقل الأفكار، والصور، وتبادل التأثير. ¹ وفي هذه الحالة يكون التأثير بين الرحالة والبلد مزدوجاً، لأن الرحالة يتعرف على البلد المستضاف له ويتأثر بعاداته وتقاليده، وفي الآن ذاته يكون التأثير مباشراً، لأنه يعرف البلد المضيف بعادات وتقاليده بلده مباشرة عن طريق الإحتكاك والتعامل اليومي معه.

تبقى الرحلة ممارسة مفيدة لما تفتحه من أفاق للإتصال والتفاهم بين الشعوب، قد لا يحققها الإطلاع على الكتب، أو حتى دراستها والتعمق فيه، حيث " تساعد هذه الرحلات على إدراك المزاج الشخصي لشعب من الشعوب، والعادات، والميول التي تتحكم في تفكيره، وإتجاهاته فتجعل فنا من فنون الأدب يروج عنده، ولا يروج عند غيره من الشعوب، ومؤرخو الأدب يهتمون عادة بالأعلام من الأدباء والذائع، المعروف من الآثار الأدبية، ولكن هناك من الأدباء نوابغ مغمورين، ومن الأعمال الأدبية ثروات مدفونة لم يقدر لها أن تطفو على السطح، والرحالة هم الذين يستطيعون أن يصلوا إلى هؤلاء الأدباء، وهذه الثروات الأدبية، ولهذا يزودون الدراسة بكل جديد. ² ومن هنا يتوضح لنا أن الرحلة توصلنا بالمشهور والمغمور، المعروف والمجهول، القديم والجديد من الثروات الأدبية وكتابها .

تكشف الرحلة عن طبيعة العلاقة الكامنة بين الشعوب . " فلا شك أن حالة العداء تخلق (للآخر) صورة سلبية، تسعى الأمة لتبريرها، ولجمع مفرداتها من عناصر شتى. وفي هذه الحالة يجري إختزال (العدو) إلى صورة نمطية، يجري التعبير عنها بكثافة ودقة. ³ وهناك من الرحالة من نقلوا صور سلبية عن بعض الأمم والشعوب، وسنحاول الوقوف عند بعض الرحلات التي أسهمت في بناء صورة سلبية عن الشرق العربي، وأولى هذه الرحلات هي رحلة إدوارد لين " Edwardlane" الذي ضمن رحلته في كتابه الشهير " **Manners and curtoms of the modern Egyptiens** (عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم)،

¹ طه ندا، الأدب المقارن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1987، ص32 .

² المرجع نفسه، ص32.

³ يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، مصر، دط، 2009، ص211، 212 .

الصادرة سنة 1836 م، في هذه الرحلة وصف حياة المسلمين وسلوكهم، وخلصته رؤيته تمثلت في أن الشرق مملوء بالظواهر الشاذة، ليس بمقدور اللغة أن تعبر عن بعضها لأنها غاية في المجون والعنف، ثم يكمل هذه الصورة الشاذة، بحديثه عن المتصوفة الذين يبقرون بطونهم، ويخرجون أمعاءهم، ليعرضوها على الحضور من أجل التسلية، وينتهي بأحكام عامة منها أن المصريين شيقون وسرعان ما يثورون وأنهم عنيدون جشعون لا يعرفون الصدق.

ولم يتوقف الأمر عند الرحالة " إدواردلين " بل تعدت إلى آخرين، أمثال " ريتشارد بورتون **Richard Burton** "، الذي وضع خلاصة رحلته في كتابه " Personl narrative of Apilgrimagetoal –Madin and Mecca"، حيث تتكر في زي أمير فارسي من إنجلترا إلى مصر وسمى نفسه " الشيخ عبدالله، وأدعى أنه أفغاني، ثم ذهب إلى الجزيرة العربية، وتمكن من أداء الفريضة الحج¹، وكما يوجد رحالة نقلوا صور سلبية عن أمم وشعوب، يوجد آخرون زدونا بصور إيجابية، وهذه الصورة جاءت كنتيجة لحالة الإعجاب ... يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي صدر عنها ذلك التصور"²، فالاحتكاك بمكان أو بشعب ما قد يولد نوعا من الإعجاب الذي يثير صورة إيجابية مشرفة، مثلما حدث مع " الطهطاوي" الذي أقام في باريس منذ عام 1826 حتى عام 1831 وسجل مشاهداته في " تخلص الإبريز في تخلص باريز"، كما أقام " الشدياق" في باريس مدة سنتين، سجلها في كتابه " الساق على الساق فيما هو الفرياق" ...، إن قارئ هذه الرحلات وغيرها من الرحلات التي تحدثت عن هذه المدينة، سيجد أن صورة باريس، كانت إيجابية الملامح والأبعاد³، وهناك أيضا أدباء غربيون منصفون قاموا بدورهم في نقل صورة العرب والإسلام بكل موضوعية وأمانة، ومن

¹ ينظر، المرجع السابق، ص 212 .

² المرجع نفسه، ص 210 .

³ ينظر، المرجع نفسه، ص 213.

بين هؤلاء "غوته" Gothe"، الذي يعتبر مثالا طيبا للصلات المتبادلة بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية، وقد "كانت رحلته إلى الشرق رحلة فكرية روحية، ولكنها كانت عميقة الأثر في نفسه بعيدة عن التأثير. ومن هنا سماها "الهجرة"، وله قصيدة في ديوانه بهذا العنوان "الهجرة" نظمها عام 1814، يتحدث فيها عن اضطراب الأحوال ويدعو نفسه إلى الهجرة إلى الشرق الطاهر الصافي، حيث ظهر الهداة والأنبياء، وهناك حيث الحب والشرب والغناء يستطيع الإنسان أن يعود شابا من جديد.¹، وهذه الدعوة إلى الرحلة من الغرب إلى الشرق، جاءت بعد الحروب الأوروبية التي كانت في القرن التاسع عشر، التي نشرت الإضطراب وزعزعت أمن الدولة والشعوب، ونظر "غوته" إلى الشرق فوجد فيه ما ينشده من هدوء وأمن، لهذا صحت عزيمة "غوته" على الرحلة إلى الشرق الذي يغمره السلام .

ضمنت قصائد "غوته" أفكارا مستوحاة من القرآن الكريم ومن بين هذه القصائد: "(قوم ممتازون) يرثي شهداء موقعة بدر من المسلمين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ثم يذكر النساء الممتازات اللاتي دخلن الجنة"²، ولم يتوقف "غوته" عند هذا بل أضاف العديد من القصائد التي تتحدث عن الخلق وعن النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها، ومنها :

قصيدة (الخاطر الحر) يتحدث عن الكواكب وكيف خلقه الله

(النبي) يذكر أن الذي يعادي محمدا، عليه أن يربط نفسه بحبل متين في أحد أعمدة

بيته³.

نلاحظ أن "غوته" كان أحد الغربيين الممجدين للإسلام، وتمجيده لهذا الدين جاء نتيجة لما فيه من توحيد وإهتمام بالجانب العملي في الحياة، فهو دين عمل وإنتاج وبناء، وبما أن "غوته" ألماني أوروبي فهو يفهم قيمة هذه المبادئ ويعمل بها، وكان جل الرحالة الغرب إلى

¹ المرجع السابق، ص 274.

² المرجع نفسه، ص 275 .

³ ينظر، المرجع نفسه، ص 276 .

البلاد العربية يكتبون بلغة عربية لا يسع لأي عربي قراءتها، لذا استند العرب على رافد آخر من روافد الصورة ألا وهو الترجمة .

* الترجمة :

ساهمت الترجمة على امتداد التاريخ الإنساني الثقافي، في عملية نقل الثقافة عبر كل أقطار العالم، وذلك بفضل الجهود المبذولة من طرف المترجمين الذين كانوا يعرفون بالآداب العالمية، فلولا الترجمة لها لما انتعشت هجرة النصوص، فبالترجمة أخذت الشعوب تتواصل فيما بينها، فانفتح الأنا على الآخر، وتطلع على خبايا حياته وعاداته وتقاليده... وكل ذلك كان بفضل قراءة كتاباته وعبر مقالاته ودراساته...، وتعد الترجمة وسيطا جيدا في تشكيل الصور، فهي تفسح المجال للاحتكاك والتعارف والتحاور بين الأمم، " لأن الناس يتكلمون لغات متعددة، نعيشها منذ بداية التاريخ على الرغم من المظهر الطبيعي لهذا الاختلاف، ولا نكتشف غرابة الظاهرة إلا عندما نتأملها في معزل عن الأحداث وسياقات البديهيات الخادعة".¹، فالمتأمل في اللغات يجد نفسه أمام كم هائل من اللغات المتنوعة والمنتشرة عبر البلدان والمختلفة باختلاف توالي الأجيال، وهذا ما يثير الحيرة، فكيف تصل جل هذه اللغات إلى جملة هذه البلدان لولا الترجمة، وتبادل الثقافات بين الشعوب لا يتم إلا بواسطة الترجمة التي تعني: " التجدد عبر عمل أنجزه أدب آخر تجاوز اختلاف الأدبيين، من أجل بلورة مبادئها المتشابهة المتحدة في إطار الأدب العام"²، تعرفنا الترجمة على هوية العمل، وتساعد على التجديد والربط بين عمليتين متشابهتين بين أدبيين مختلفين في الهوية فالترجمة حسب ما عرفها " هنري باجو" هي: " أن تنتقل نصا من ثقافة إلى أخرى، ومن منظومة أدبية

¹ سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 255.

² المرجع نفسه، ص 257 .

معينة إلى منظومة أخرى، إنها إدخال نص في سياق آخر" ¹ وبهذا التفاعل يحدث التجديد الذي يمكن البشرية من النهضة والسير إلى التطور والنمو اللذان يحققان التقدم.

لاشك أن التواصل الأمثل بين الثقافات يتم عبر الاطلاع المباشر على الآداب الأجنبية، في نصوصها الأصلية، "... ولكن حتمية الاختلاف بين الناس والشعوب أمر لا مفر منه، ولا يوجد بديل لسلوك طريق الترجمة في أكثر الأحوال لكي يصل العمل الأدبي من بيئة لغوية إلى بيئة لغوية أخرى." ² فهي وسيلة حيوية تمكن الأمم من تبادل المعارف والخبرات، وهي: "أداة وساطة فكرية منذ العهود القديمة، فيمكن الإشارة إلى "حجر رشيد" كمثال مبكر لها." ³

تعتبر الترجمة رافدا من روافد الدراسات المقارنة، بما تتطوي عليه من نقل للنصوص من أدب قومي إلى أدب قومي آخر، حيث تعتبر انتقالا لغويا وقفزا بالنص وهجرة به من نظام لغوي إلى نسق آخر، ليعيش في إطارين قوميين مختلفين بما ينطوي على تلك الهجرة من أبعاد فكرية، وأسلوبية وجمالية، لأن عملية نقل النص ليست عملية آلية، بل هي إنتاج جديد للنص ضمن أطر لغوية جديدة. ⁴

نظرا للدور الذي تلعبه الترجمة في تحقيق الاتصال، وجب علينا تبيان إيجابياتها، وخاصة على مستوى الأعمال الأدبية، " فالترجمة إلى اللغات الأجنبية عموما، وإلى لغة أجنبية عالمية بشكل خاص، تضمن للعمل الأدبي أكبر قدر ممكن من الانتشار والتلقي العالميين." ⁵ فالانتشار الواسع لأي عمل أدبي يجعله دافع الصيت بين أفراد المجتمع - أخص بالذكر الفئة المثقفة- فيتهافتون للتطلع عليه، وبهذا يكتشفون وجهة نظر الأديب

¹ دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص 63.

² يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 28.

³ المرجع نفسه، ص 28.

⁴ ينظر، المرجع نفسه، ص 203.

⁵ عبود عبده، الأدب المقارن مشكلات وأفاق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1999م، ص 107،

فنتنقل صورة مجتمعه إلى البلدان الأخرى، فالفضول الكبير عند الأنا دفعه إلى إتخاذ الترجمة سبيلا لتعريف الآخر بنتاجه المعرفي والثقافي.

ساهمت الترجمة في تفعيل التبادل الثقافي والمعرفي بين الشعوب، فأصبح الأنا يلجؤ إليها ليعرف الآخر بفنه وكتاباتته، ويطلعه على مبادئه وعاداته وتقاليده، وتسهل عليه الاطلاع على مختلف الإبداعات المرتقية إلى مستوى العالمية، حتى وإن كانت بلغة غريبة عنه لا يتقنها ولكن على الرغم من كل هذا إلا أن الترجمة تفقد قيمتها "إذا لم تكن نقية، وأمينة جدا، وعلى الباحث المقارن أن يلاحظ إذا ما كانت الترجمة كاملة أو ناقصة، لأن سقوط بعض الترجمة يسقط بعض أثر الكتاب"¹، فالتشويه الذي تلحقه الترجمة بالنص الأصلي يترتب عنه تشويشه في المتلقي، وبالتالي تشويه في الرؤية التي يأخذها المتلقي عن كاتبها أو بلد ما، من خلال النص المترجم إذا لم تكن له معرفة مسبقة بهما، ومن هنا يتضح لنا الجانب السلبي للترجمة إذا لم تتحقق الأمانة العلمية في الشخص المترجم، لهذا وجب على كل مطلع للآداب العالمية المترجمة أن يتحقق من صدق وأمانة مترجمها .

لا يفوتنا ذكر أن العديد من الأعمال الأدبية العربية ترجمت إلى لغات أجنبية، " فقد نقلت (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة) قديما، مثلما نقلت (الإلياذة) ومسرحيات "شكسبير" وبعض أعمال "غوته" من مثل (ألام فيرتر) و (فاوست) إلى العربية في العصر الحديث."² ومن هنا تتضح لنا قدرة الترجمة على توسيع أفق التطلع، وبناء جسور عبور بين مختلف الشعوب، وفتح قنوات جيدة للتواصل والإتصال والحوار بين الأمم في كل أقطار العالم، كما لها الفضل في " رفع المستويات الثقافية المحرومين من الثقافة العالمية، ولفتح أبواب المعرفة أمام جماهير الناس المتعطشة للإرتواء من تراث الإنسانية ".³ فلولا الترجمة لما وصلنا الكثير من المعارف والعلوم والخبرات، التي تزيد في رصيدنا المعرفي وتحقق لنا التشبع من

¹ داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003 م، ص 26.

² يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 208.

³ داود سلوم، الادب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، ص28.

الثقافات العالمية المخالفة لثقافتنا فهي تسهم في التعريف بالتراث والعادات والتقاليد، بشكل ميسر ومن غير مشقة ولا تعب.

* الإستشراق :

يتفق أغلب الدارسين المهتمين بالإستشراق على أنه أحد أهم الظواهر الثقافية والمعرفية التي تبني أعمدها على تفاصيل ومعالَم الآخر المجهول، الذي يتمثل عادة في العربي وكل ما يحويه من ثقافات وعادات وتقاليد.

تعود جذور كلمة إستشراق "Orientalisme" إلى لفظه الشرق "Orient"، والتي مصدرها المصطلح اللاتيني "Oriens" الذي يعني "الشروق" أو "الشمس الشارقة" أو "الشرق"، الذي يدل على كل ما هو غير غربي بمعنى "ربع شمس المغيب"، أو "الغروب"، وقد عرف هذا المصطلح أترياحا دلاليا من فضاء جغرافي إلى مكان إيديولوجي وفق نظرة إزدواجية تفرق بين الغرب والشرق، فالغرب أرض المسيحية، أما الشرق فهو أرض الإسلام.¹

كانت البدايات الأولى التي أسست لظهور الإستشراق "في أعقاب الصدام العنيف بين الحضارتين، الحضارة الإسلامية الشابة المثوبة والحضارة الغربية المترنحة المتخاذلة وإستطاعت الحضارة الإسلامية أن تبسط سلطانها على جزء كبير من آسيا وإفريقيا وأمتدت إلى جنوب أوروبا"²، هنا ما خلق فضولا كبيرا لدى الغربيين الذين كانوا في حاجة إلى التعرف على أسباب قوة هذه الحضارة التي كانت ذائعة الصيت، ومن هنا إنطلقت الرحلات الإستشراقية الهادفة إلى إستقراء الآخر بكل ما يحويه من تنوع في المعارف والثقافات، لذا "نشأت بحوث كانت تهدف للتصدي للإسلام، فيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السياسية

¹ ينظر، ناجي عويجان، تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي، تر: الإصباح، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص201.

² محمد فاروق النهان، الإستشراق: تعريفه ومدارسه وأثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، دط، 2012 م، ص08.

والإقتصادية في رفع الدراسات الإستشراقية في الدول الأوروبية كي تنمو، لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستقرة، ولذا فإن هذه المنظومة قد لا تعكس حقائق أو وقائع.¹

فدافع الغرب إلى إقامة دراسات وبحوث متعلقة بثقافة الآخر وديانته الإسلامية هو الهدم والتصدي بعد المعرفة والإكتشاف، بعدها أخذت هذه الدراسات بعد آخر تمثل في خدمة مصالح أوروبا خاصة سياستها الإستعمارية، فكان أهم ما يعاب على هذه البحوث إبتعادها عن الموضوعية، وخلوها من الأمانة العلمية في نقل الأحداث والوقائع " فبالنسبة إلى الغرب إنطوى فهم الإسلام على محاولة تحويل تنوعه إلى جوهر وحداني غير قابل للتطور، وقلب أصالته إلى نسخة منحطة من الثقافة المسيحية، ومسح شعوبه إلى كاريكاتورات مثيرة للربح...² وبهذا كانت الصورة التي ينتجها الغرب عن الشرق، صوراً مجحفة بحقه، يشوبها الكثير من الزيف والتشويه في الحقائق، وهذا راجع إلى الإيديولوجيات المسيحية التي جعلت الإستشراق يشوبه الكثير من الغموض والنقص.

رسم المستشرقون صورة للشرق ليست على الشاكلة ذاتها، " فمن قرأ كتابين أو ثلاثة كتب من كتب الرحالة المتعلقة بالقرن السابع عشر، فكأنه قرأ العشرات منها، حيث تتبلور التمثيلات فيها كنماذج، فمن يبحث عن الصورة النمطية للإستبداد الشرقي يجدها عند "مونسكيو"، ومن أراد فهم المكانة التي يشغلها الشرق في رؤيتنا إلى التاريخ، فإنه يقرأ "هيغل"، ومن أراد أن يستشعر مظاهر تمزق الشرق، وترف الشرق فإنه يقرأ "ماسينيون".³ فقد كان كل مستشرق ينظر إلى الشرق من وجهة معينة، ذات طبيعة مختلفة، فكل يراه من زاوية إجتماعية أو سياسية أو ثقافية...، فاختلقت الرؤى وتراوحت بين السلبية والإيجابية،

¹ يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 215.

² إدوارد سعيد، تعقبات على الإستشراق، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996 م، ص 28.

³ تيبيري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي، الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر: مي عبد الكريم محمود، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2006 م، ص 24.

هذه الأخيرة التي برزت في دور الإستشراق في: " التعريف بالتراث العربي، هذا التعريف بصرف النظر عن دقته، الذي أدى إلى قيام حركة أدبية في أوروبا تفيد منه، وتنمو من خلال تأثيراته " ¹ فقد قام المستشرقون في غير بلد من بلدان العالم الغربي "بكتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي، فأخرجوا عشرات المخطوطات، واهتموا بالبرديات العربية، ودرسوا ظهور الإسلام وانتشاره، وفلسفته، وترجموا القرآن الكريم، واهتموا بقراءته، واهتموا بالحديث النبوي، وصنفوا معجما مفهرا لألفاظه ودرسوا شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية، واعتنوا بالفلسفة الإسلامية، ودرسوا علوم الحضارة الإسلامية وفنونها، ولغاتها، وآدابها"².

يتضح لنا من خلال ما أوردناه أن الإستشراق هو المعرفة التي أنتجها الغرب عن الشرق، بمحاسنها ومساوئها في نقل صورة الآخر غير الأوروبي، وقد كان ذلك من خلال طمس الحقائق وتزييفها، مما يجعل الأجيال تأخذ صورة سلبية عن الآخر العربي الإسلامي، وقد تتحى ذلك نحو الإنصاف والصدق والأمانة، وهذا ما يساعد على إيصال صورة إيجابية عن العربي المسلم، وهذا ما أتمم به القلة من المستشرقين .

III- منهجية البحث في حقل الصورة :

يتخذ الإستغلال في حقل الصورولوجيا وجهته حسب طبيعة كل من الأنا والآخر، فتكون بصدد دراسة صورة الأنا في أدب الآخر، أو صورة الآخر في أدب الأنا، وإذا كان هذا الأنا أو الآخر بلدا فإن دراسته ستأخذ وجهتين، إما بلد ما كما يصوره أدب الآخر، أو بلد ما كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى، وإذا كانت الدراسة المقارنة الجادة تفترض منهجية محددة في تحليل الظواهر الأدبية، فإن منهجية البحث في هذا الحقل تتحد في " تفكيك الصورة إلى عناصرها المكونة لها، من أجل الوقوف على لحظة ولادة أو تشكل صورة شعب ما في ذهنية شعب آخر، يمثل واقعا ثقافيا أجنبيا مغايرا، مع البحث في طريقة تكون هذه الصورة

¹ يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 216 .

² المرجع نفسه، ص 216.

من جهة، وتحديد عناصرها المنتجة لها من جهة أخرى.¹ وهذا البحث يعتبر بحثاً حديثاً، يهتم فيه الباحث بدراسة بلد أو شعب في أدب أمة أخرى، وللقيام بهذه الدراسة وإجراء هذا البحث، وجب على كل مهتم الإقتداء بمجموعة من القواعد وإتباعها، والمتمثلة فيما سيأتي :

" يبدأ الباحث بدرس الطريقة التي تكونت بها أفكار أمة ما في أدبها عن الشعب الذي يقصد إلى وصف صورته في ذلك الأدب"² ويكون ذلك إما عن طريق الترحال إليه ومشاهدة حياته بصورة مباشرة، أو بواسطة المصادر المكتوبة. بعدها يقوم الباحث في هذا الميدان بالانتقال إلى الخطوة الموالية، " فيدرس الباحث المواطن التي زارها الأدباء، وتأثراً بها لأنها تكشف عن العوامل التي ساعدت على تكون الصورة عندهم."³ ثم تأتي الخطوة الثالثة حيث " ينبغي أن يكتفي الباحث بدراسة الأدباء الذين لهم مكانة أدبية دون الإعتماد على الكتابات الصحفية أو ذات القيمة الهابطة."⁴ لأن الكتابات الغير قيمة تنقص من مكانة الدراسة وتنزل من قيمتها.

وآخر خطوة في الدراسة تمثلت في أن: " يهتم الباحث بعد ذلك بدراسة صدى آراء الرحالة من الكتاب لدى أبناء أمتهم ممن تحدثوا عن نفس البلد أو أرادوا وصفه وتقديم نماذج بشرية لأهله."⁵ فإن تفيد الباحث بهذه الخطوات، تمكن من الوصول إلى دراسة صورة الآخر بطريقة منهجية بعيدة عن العشوائية، والغرض من وراء هذه الدراسة وضع صورة الآخر في موضع صحيح، " ويبين ما فيها من صواب وخطأ، ويشرح أسباب الخطأ فيها."⁶

¹ دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص 178.

² عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2007 م، ص51.

³ المرجع نفسه، ص51.

⁴ المرجع نفسه، ص51.

⁵ المرجع نفسه، ص51.

⁶ المرجع نفسه، ص52.

ونستنتج من خلال دراستنا لكيفية دراسة صورة بلد في بلاد أخرى، " أن للصورة الأدبية للشعوب تأثيرا عميقا في علاقاتها بعضها ببعض، ولها تأثيرا على عقول قادة الأمة." ¹ فهي تزيل كل غموض يقف حاجزا أمام الأنا في التعرف على الآخر، وتيسر له الطريق للعبور إليه واكتشاف خباياه، والغوص في أعماقه.

¹ المرجع نفسه، ص 52 .

الفصل الثاني

تجليات صورة الأخر في رواية الخيميائي

شكل الشرق إحدى أهم القضايا التي شغلت الرحالة الأوروبي، فقد وقف عند أدق تفاصيل حياته، فأصدر الكثير من الأحكام وكتب الكثير من المؤلفات التي تتحدث عن واقعه، وكيفية معيشته داخل بلده، جاعلين إياه آخرًا مختلفًا عنه في عاداته وتقاليده ولغته، وطريقة تفكيره وثقافته ...

كيف تجلت صورة الآخر العربي في أعين الأنا الأوروبي ؟

للإجابة عن هذا التساؤل قمنا بدراسة رواية أحد المؤلفين الغرب، وهو الكاتب البرازيلي "باولو كويلو" الذي أراد أن يعطي وجهة نظره عن العربي في مدونة أسماها " الخيميائي"، هذه الأخيرة التي كانت تحمل في طياتها مجموعة من الشخصيات، التي لعبت دور المتحدث على لسان الكاتب ومنها ماهي رئيسية وأخرى ثانوية، ولكل منها دور في إيصال رسالته .

1 - دراسة الشخصيات

1- الشخصيات الرئيسية :

تختلف هذه الشخصيات من حيث خاصيتها وصفاتها، وكل منها لها دور في تسيير مجرى أحداث الرواية، ومن بين الشخصيات البارزة والرئيسية نجد :

- الراعي سانتياغو :

لا يعتبر من الرعاة العاديين، لأنه شاب متعلم، " فحتى السادسة عشرة تردد إلى مدرسة إكليريكية . وكان والداه يرغبان بأن يجعلاه منه كاهنًا¹ لكنه شاب طموح يأمل في تحقيق حلمه وهو السفر والترحال إلى بلدان أخرى ليتعرف على أسرارها ويكتشف خباياها، لهذا "ذات مساء جميل، هو ذاهب لرؤية نوبه تسلح بالشجاعة وأخبر والده بأنه لا يريد أن

¹ - باولو كويلو، الخيميائي، تر: جواد صيداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2008، ص 24.

يكون راهبا بل يريد السفر"¹، وافق والد الفتى على طلبه وقرر عندها أن يصبح راعيا² لأن هذه المهنة ستمكنه من أن يجوب البلاد بأغنامه بحثا عن الكلاً .

باع الفتى غنمه بعد تعرفه على " ملكي صادق " الذي حفزه على السعي وراء تحقيق حلمه وهو العثور على الكنز الموجود بقرب الأهرامات، تعرض في رحلته إلى السرقة، وأضطر إلى العمل في متجر أواني بلورية كي يجمع مالا يكفيه في متابعة رحلته، هناك تعلق بصاحب المحل، ولأنه وفي وليس ناكر للجميل" غادر من دون أن يودع تاجر البلور، لأنه لا يريد أن يبكي... لكنه سوف يتحسر على هذه الفترة، وعلى كل الأشياء التي تعلمها."³

عبر الفتى الصحراء وانظم إلى قافلة تعرف فيها على خيميائي وعلى حب حياته "فاطمة" التي كادت أن تتسبه في حلمه الذي قرر التخلي عنه، فقد عبر لها عن حبه قائلا: "أحبك لأنني رأيت حلما، وقابلت ملكا، وبعثت أواني بلورية، وعبرت صحراء نشب قتال بين قبائلها، وجئت إلى مكان قريب من بئر لأستدل على مسكن خيميائي، احبك لأن الكون بأسره توطأ معي لأصل"⁴. وبفضل " فاطمة " تابع " سانتياغو " مسيرته مع الخيميائي الذي تعلم منه الكثير، ووصل في الأخير إلى ما يطمح إليه وعثر على الكنز، وكل ذلك تحقق بفضل امتلاكه للثقة بالنفس⁵ وصبره على مشاق ومتاعب السعي وراء أسطوره الشخصية .

- العجوز " ملكي صادق " :

يعد من بين الشخصيات البارزة في الرواية، وهو رجل عجوز " يرتدي زيا عربيا، كما أن سيماء تدل على أنه عربي "⁶، فوجئ سانتياغو عند تعرفه على العجوز بأنه " يحسن

¹ المرجع السابق، ص 24 .

² ينظر، المرجع نفسه، ص25.

³ المرجع نفسه، ص80.

⁴ المرجع نفسه، ص141.

⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص80.

⁶ المرجع نفسه، ص34.

القراءة"¹، فهو شيخ متعلم، يملك الكثير من الحكمة، وهذا ما جعله يقنع الشاب بعدم العدول عن أسطوره الشخصية، وقد صرح بأنه ملك حين قال " إنني ملك سالم " - سالم هي القدس حاليا - وما جعله يتوج بهذا المنصب تحليه بصفة الذكاء والفتنة وقدرته على تحليل الأفكار .

يتضح من الأحداث أن " ملكي صادق " إنسان غير طبيعي، فله القدرة على معرفة أسرار وخبايا النفس الإنسانية، وهذا ما جعل الفتى يصغي إليه ويعمل بنصائحه، فعند مقابلته له عرف بأنه يحب الترحال، وقبل أن يبوح الفتى له بذلك قال له : " هذا أفضل لك لأنك تحب السفر."²، إندهش الشاب من العجوز وقال في نفسه : " لقد حزر أفكارى."³

دوره في الرواية مساعدة الفتى وإرشاده إلى السبل التي يمكنه بواسطتها الوصول إلى الكنز، مثل علم الإشارات الذي ينبهه إليه وقال : " لكي تصل إلى الكنز ينبغي لك أن تتنبه إلى الإشارات، لقد كتب الرب في العالم، لكل منا الطريق التي يجب عليه إتباعها، ومهمتك تقتصر على قراءة ما كتب لك"⁴، وهكذا وبفضل العجوز قرر " سانتياغو" الإستمرار في رحلته باحثاً عن الكنز، وقد كلفته نصيحة العجوز التخلي عن ستة أغنام، وطلب العجوز للخراف الستة كان من أجل جعل الفتى يحس بقيمة إتخاذ القرار وهذا ما حثه عليه قائلاً : "حاول إجمالاً أن تتخذ قراراتك بنفسك، إن الكنز موجود على مقربة من الأهرامات، وهذا أمر سبق أن عرفته، ولكنك إضطرت لإعطائي الخراف الستة لأنني أنا، من ساعدك على إتخاذ القرار."⁵

نلمح من خلال تعرفنا على شخصية الملك " ملكي صادق"، انه رجل حكيم يحب مساعدة الآخرين، ويأمل في جعلهم متمسكين بأحلامهم، قادرين على إتخاذ القرارات التي

¹ المرجع السابق، ص33.

² المرجع نفسه، ص34.

³ المرجع نفسه، ص34.

⁴ المرجع نفسه، ص34.

⁵ المرجع نفسه ، ص 45 .

تعنيهم، صابرين على مجابهة مشاق العقبات التي تعرقل طريقهم، وهذا ما فعله مع الشاب " سانتياغو " جاعلا إياه إنسانا مصرا على وصوله لأسطوره الشخصية، متأكدا من تحقيقه لها.

- الخيميائي :

يعتبر " الخيميائي " من الشخصيات الجد مهمة داخل الرواية، فقد إعتبره " سانتياغو " مفتاح أسطوره الشخصية .

" يبلغ من العمر مائتي سنة " ¹، وهذا ما مكنه من تعلم الكثير عن الحياة وعن أسرارها، يقيم في خيمة " بإتجاه الجنوب " وهي خيمة تشبه سائر الخيام الموجودة في الواحة التي يسكن فيها، تحمل هذه الخيمة بداخلها أكواما من الكتب وفرن للطبخ وسجاجيد مزخرفة برسوم غامضة " ²، يعد الخيميائي شخصا كريما يشارك الآخرين طعامه، فعند ذهاب الفتى إليه استقبله باحترام وقال : " اجلس، سأعد الشاي ن وسوف نأكل معا، هذين الصقرين " ³ تجيد هذه الشخصية التعامل مع أفاعي الصحراء ⁴، هذا لتوغله فيه والتأمل في جاذبيتها وسحر رمالها فذات مرة وهو بصحبة الفتى عثر على أفعى، فقام " برسم دائرة في الرمل ووضع الأفعى وسطها لتجمد حركتها على الفور " ⁵. هو فارس يجيد ركوب الخيل وله وله " جواد أبيض، هائل الحجم، يصله سهيلا مخيفا " ⁶.

التقى الراعي " سانتياغو " بالخيميائي " في الجزء القبل الأخير من الرواية، ومعا عاشا أصعب أوقات حياتهما، فقد عبر منطقة تشتد فيه الحرب بين القبائل، تعلم الشاب من الخيميائي العديد من المعلومات التي إستفاد منها في متابعة رحلته كحثه على الإستماع إلى

¹ الرواية، ص 136 .

² المرجع نفسه، ص 142 .

³ المرجع نفسه، ص 133 .

⁴ ينظر، المرجع نفسه ص 136.

⁵ المرجع نفسه، ص 136 .

⁶ المرجع نفسه، ص 127 .

قلبه لأنه : حيث يكون كنزه هناك يكون قلبه ¹، ونصحته بألا يستسلم لليأس لأنه يمنعه من التحاور مع قلبه ² وأيضاً قال له : ليس هناك سوى شئ واحد يمكنه أن يجعل اللحم مستحيلاً: الخوف من الفشل ³.

إقتبس الخيميائي هذا العلم - الخيمياء - عن أجداده " الذين إقتبسوه عن أجدادهم، وهكذا دواليك، منذ خلق العالم " ⁴.

أخذ الشاب "سانتياغو" من الخيميائي الحكمة التي تجعله يصبر على ما تركه وراءه، من أجل الترحال والبحث عن الكنز، فقد كان " الرجل يتكلم لغة الخيمياء " ⁵، ورغم ذلك فقد فقد فهم الشاب ما يصبو إليه حين قال : " إذا كان ما وجدته مصنوعاً من مادة نقية فلن يبلي إطلاقاً، وتقدر أن تعود إليه ذات يوم وإذا لم يكن سوى ومضة ضوء، مثل إنفجار كوكب، فلن تجد، عندئذ شيئاً لدى عودتك، ولكنك تكون قد رأيت إنفجاراً ضوئياً، وهذا وحده، يستحق عناء أن نعيش " ⁶. وبفضل الخيميائي وحكمته وقدرته على الإقناع، تمكن الفتى من من ترك محبوبته، والسير قدماً من أجل تحقيق أسطوره الشخصية .

يحمل الخيميائي معه قارورة صغيرة من الكريستال مليئة بسائل وبيضة من زجاج صفراء اللون، لا تكاد تزيد كثيراً عن حجم بيضة الدجاجة وهذا ما يستخدمه في تحويل المعدن إلى ذهب، إنها حجر الفلاسفة، وإكسير الحياة، وهما الإنجاز العظيم للخيميائيين، ويقول الخيميائي أن من يشرب من هذا الإكسير، لا يصاب بمرض البتة، وقطعة صغيرة من هذا الحجر تحول أي معدن من المعادن ذهباً. ⁷

¹ ينظر، المرجع السابق، ص 147 .

² ينظر، المرجع نفسه، ص 160 .

³ المرجع نفسه، ص 161 .

⁴ المرجع نفسه، ص 145 .

⁵ المرجع نفسه، ص 143 .

⁶ المرجع نفسه ، ص 143 .

⁷ ينظر، المرجع نفسه، ص 152 .

2. الشخصيات الثانوية :

الشخصيات الثانوية لا تقل أهمية عن الرئيسية داخل هذه الرواية - الخيميائي - إلا أنها ارتبطت كثيرا بفلسفة الرواية عبر الأحكام التي وردت عبر أسنتها والمواقف التي ربطتها بالشخصيات، حيث أكملت المشاهد بشكل يخدم الفكرة التي يسعى الروائي إلى إيصالها للقارئ .

من بين الشخصيات الثانوية نجد :

- تاجر الصوف :

هذا الرجل يملك دكان منسوجات " وهو تاجر يستعمل الذكاء مع الباعة، إذ نجده لا يثق في الباعة، وكان يصر على جز الصوف أمام عينيه لكي لا يقع في فخ الغش والتلاعب من قبل الباعة . فقد كان " صاحب دكان منسوجات، وكان يحب أن يجز الصوف أمام عينيه، ليتجنب أي غش في البضاعة " ¹

- ابنة التاجر :

هي فتاة ذات مواصفات وملامح أندلسية، أعجبت بالراعي واندلشت عندما وجدته يقرأ كتابا، لأنها لم تر من قبل راعي يحسن القراءة، وصفها الكاتب على لسان الراعي بأنها " فتاة ذات ملامح أندلسية، ولها شعر أسود طويل، وعينان تذكران، على نحو غامض، بالغزاة المغاربة القدامى." ²

- العجربة :

تعتبر من بين الشخصيات التي ساعدت " سانتياغو " على تفسير حلمه وهي امرأة عجوز تقيم في مدينة (طريف) تعرف تفسير الأحلام وتقرأ الكف " فسرعان ما تذكر، أن في

¹ الرواية، ص 18 .

² المرجع نفسه، ص 19 .

طريفا امرأة عجوزا تعرف تفسير الأحلام " وعندما تقف المرأة حائرة أمام حلم صعب عليها تفسيره تستعين بفنون أخرى " القراءة في الكف مثلا .¹

مهمة العجوز داخل الرواية هي تفسير حلم الشاب الذي كان يراوده، حيث قال للمرأة : " وجدت نفسي مع نعاجي، في احد المراعي، وإذ بطفل يظهر ويلعب مع الحيوانات ... استمر الطفل يلهو مع النعاج فترة من الوقت . وفجأة أمسك بيدي وقادني حتى أهرامات مصر... " عند ذلك، وأمام أهرامات مصر، قال الطفل لي : إذا جئت إلى هنا سوف تجد كنزا مخبوءا.² بعدما حكى لها حلمه، قامت بتفسيره بقولها : " أنصت إلى التفسير: يجب أن تذهب إلى أهرامات مصر، ... وهناك سوف تعثر على الكنز الذي يجعلك ثريا.³

لتأكد العجورية من وجود الكنز في أهرامات مصر، قررت أن تتقاضى أجر تفسير حلم الشاب بعدما يجد الكنز، فقالت له : " لن أخذ منك مالا الآن، ولكني أريد عشر الكنز في حال عثورك عليه.⁴ وأخذت منه قسما على فعل ذلك.

- بائع الفشار :

هي شخصية ثانوية إستخدمها الملك (ملكي صادق) كمثل للفتى كي يوضح له أن السعي وراء تحقيق الحلم لا يحتاج التأجيل فقد " أشار الرجل إلى بائع الفشار، يقف بعربته الحمراء، على ناصية الساحة"، " رافقت طفولة هذا الرجل رغبة في السفر، ولكنه فضل أن يشتري عربة صغيرة ليبيع الفشار، ويجمع المال، طوال سنوات عدة، حتى إذا غدا شيخا، يذهب لقضاء شهر في إفريقية . لم يدرك إطلاقا، أننا نملك دائما إمكانية تحقيق ما نحلم به.⁵

¹ المرجع السابق ، ص 27 .

² المرجع نفسه، ص 31 .

³ المرجع نفسه، ص 31 .

⁴ المرجع نفسه، ص 31 .

⁵ المرجع نفسه، ص 38 .

- صاحب المقهى :

دور هذه الشخصية داخل الرواية هي مساعدة للفتى، حيث قرر صاحب المقهى تنبيه الفتى إلى كثرة اللصوص في الميناء، وأن الشخص الذي يثق به ويريد أن يصطحبه معه كدليل يريد سرقة ماله، ولكن الشاب لم يأبه له ونجد ذلك في قول صاحب المقهى : " إنه يطعم بمالك، فطنجة ليست كسائر مناطق إفريقيا، نحن هنا في ميناء، والموانئ جميعها مغارات لصوص " ¹.

- اللص المحتال:

تظهر لنا هذه الشخصية مدى دهاء اللصوص في الاحتيال والنصب على الناس فهذه الشخصية قامت باستعمال الحيلة لسرقة مال " سانتياغو " ونلاحظ هذا في قول صاحب المقهى: " ينبغي اجتياز الصحراء الكبرى بكاملها، ومثل هذا الأمر يتطلب مالا، ألدك المال الكافي أولا؟ " ² وبعد رؤيته المال قرر مصاحبته.

- بائع الحلويات :

هي شخصية لم تشارك في تغيير الأحداث ولكنها ظهرت لسير الأحداث، حيث نجد أن " سانتياغو " قدم يد العون لبائع الحلويات في تركيب كوخه، وهو رجل تلوح على وجهه ابتسامة ثم وصف هذا الرجل حين قال : " كانت تلوح على وجه هذا الرجل ابتسامة لا تشبه الآخرين : كان مفعما بالحبور، ومنفتحا على الحياة، ومستعدا لمجابهة يوم طيب للعمل " ³.

- تاجر الأواني البلورية :

¹ المرجع السابق، ص 05 .

² المرجع نفسه، ص 51 .

³ المرجع نفسه، ص 57 .

نفهم من خلال قراءتنا للرواية أن هذه الشخصية متعلمة ومسلمة، ويظهر ذلك في قوله " لقد أملى علينا القرآن، الذي أنزل على النبي، خمس فرائض " ¹ وصف الكاتب بائع الكريستال بصفات الرجل الصالح المحب للناس، هو رجل يتقن لغات كثيرة ونتأكد من ذلك في اللافتة التي علقها على باب حانوته والقائلة: " نحن نتكلم عدة لغات " ² وقد وظف الروائي هذه الشخصية داخل الرواية ليعلم القارئ بان كل منا يستطيع تحقيق أسطوره الشخصية ولكن هناك من يؤجلها، فتاجر الكريستال يحلم بأداء فريضة الحج لكنه في كل مرة يؤجلها بدافع أنه لا يملك المال الكافي لذلك فقال: " فضلت ما كان لدي، من مال قليل، في هذه التجارة، وكنت أمل أن أجد، يوماً ما، على قدر من الثراء، لأزور مكة ". ³، ولكن السبب الحقيقي وراء ذلك هو خوفه من كره الحياة، لأن الحج هو الذي يجعله محبا لها، ومنتظرا لما سيأتي وهذا ما قاله للفتى " لأن مكة هي التي تبقيني على قيد الحياة . وهي التي تمنحني القوة على تحمل كل هذه الأيام المتشابهة، وهذه المزهريات الموضوعة فوق الرفوف، والغداء والعشاء في هذا المطعم البائس، أنني أخاف إذا حققت حلمي، ألا يبقى لي بعد ذلك سبب للعيش. " ⁴

- رئيس القافلة :

نلمح أنه رجل ذو لحية طويلة وعينين سوداوين، يقود القافلة ومن فيها ليعبر بهم الصحراء ويصل بهم إلى مصر، صرح القائد بأنه رئيس القافلة فقال: " أنا رئيس القافلة، وإلي ترجع حياة وموت كل الذين أقودهم، لان الصحراء، امرأة ترقه تجعل الرجال، أحيانا، مجانين. " ⁵

¹ الرواية، ص 69 .

² المرجع نفسه، ص 61 .

³ المرجع نفسه، ص 80 .

⁴ المرجع نفسه، ص 80 .

⁵ المرجع نفسه، ص 89 .

يقود هذا الرجل قافلة ضمت " قرابة المئتي شخص، وضعف هذا العدد حيوانات من جمال وخيول وبعال وطيور.¹"

يقوم بدور الدليل الذي يسير بالقافلة والتي تضم الشاب، ليوصله إلى الأهرامات مكان الكنز .

- الرجل الإنكليزي:

تعد هذه الشخصية من بين الشخصيات البارزة داخل الرواية، إذ أن الشاب الإنكليزي كان رفيق " سانتياغو " في رحلته إلى الصحراء، فقد التقى معه في محط القوافل الذي كان عبارة عن " مبنى تتصاعد منه روائح البهائم، والعرق، والغبار ."² كانا طيلة مدة الرحلة يتصفحان الكتب والمجلات التي جلبها الإنكليزي معه، فهو شاب مثقف ومتعلم يبحث عن خميائي ليساعده في تحقيق حلمه .

- فاطمة :

تحمل هذه الشخصية " ملامح أندلسية ولها شعر أسود طويل . وعينان تذكران، على نحو غامض، بالغزاة المغاربة القدامى "³، جعلت هذه الفتاة الشاب يهيم في حبها لدرجة أنه كاد يصرف نظره عن متابعة رحلته والبحث عن الكنز، وقد صرح لها بحبه وطلبها للزواج⁴، ولكنها أبت أن تتزوج، لان عنده حلم ويجب عليه أن يحققه، ولكنها وعدته بانتظار عودته لها .⁵

¹ المرجع السابق، ص 89 .

² المرجع نفسه، ص 82 .

³ الرواية، ص 19 .

⁴ ينظر، المرجع نفسه، ص 114 .

⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص 116 .

III / أهم القضايا التي تعالجها الرواية :

- موضوع العلاقة بين الشرق والغرب، وكيف ينظر كل منهما للآخر، ولكن من منظور وفكر الكاتب، فنجد أن " باولو كويلو" ليس كغيره من الأدباء الغربيين، الذين يحاولون إظهار الصفات السلبية للشرق، ولكي يوصل الكاتب وجهة نظره عن الشرق، قام باتخاذ الرحالة " سانتياغو " وسيلة للتجوال داخل البلاد العربية وسرد مقتطفات من سيرته فيها، وهذا بدافع إبراز خبايا وعادات وتقاليد وحياتة هذه الشعوب إيجابياتها وسلبياتها، وظهر كل هذا في مجموعة من المقولات المصرحة داخل الرواية، من بين الصفات المحسنة في البلاد العربية نجد :

- حب مساعدة الغرباء، ولو بتقديم نصيحة لأخذ الحيطة والحذر، ونلمح ذلك في رغبة صاحب المقهى في تحذير الراعي من مكر وحيلة الشاب الذي أظهر له الطيبة وهو على عكس ذلك : " لم يدرك قبل الآن سبب الجهد اليأس الذي بذله صاحب المقهى: كان يحاول تحذيره من ذلك الشاب ."¹

- معالجة مسألة إحترام الأديان : وهذا ما يسعى إليه الجميع فكلما تمكنت المجتمعات من فهم هذه الفكرة ساد الاحترام والسلام وفهم وجهة نظر الآخرين، وهذا يمكن الأمم والشعوب من الأخذ والعطاء بصورة سهلة وموضوعية لا يشوبها أي نقص ولا إعتراض، فبالرغم من أن بطل الرواية (سانتياغو) لم يكن مسلماً إلا انه لم يعارض أي دين، والدليل على أنه لم يكن مسلماً العبارات التالية الموجودة داخل الرواية : " نهض وشرب جرعة من النبيذ"²، " حاول أن يطمئن نفسه: ((ولكن توجد هنا صورة قلب يسوع)) ... تلا بصمت ((أبانا الذي في السماوات))"³.

¹ الرواية، ص 54 .

² المرجع نفسه، ص 18 .

³ المرجع نفسه، ص 28 .

- تسليط الضوء على مهنة الراعي وإبراز أن هذه المهنة لا تخص سوى الإنسان غير المتعلم، ويمكن لأي كان أن يقوم بها حتى المتعلم، فالعمل عبادة ويجب علينا تقديسه وعدم احتقاره مهما كانت صفته ونوعه، والدليل على أن الراعي كان متعلما أنه : " بسط رداءه على الأرض، مستخدما الكتاب الذي أنهى قراءته، وسادة قبل أن يغفو، فكر بأنه ينبغي له أن يقرأ، بعد الآن، مؤلفات أكثر ضخامة."¹

- مساعدة كل إنسان على السعي إلى تحقيق أسطوره الشخصية والوصول إلى طموحه وتحقيق حلمه، والتأكيد على فكرة من أراد العلى سهر الليالي لأنه من سار على الدرب وصل، فبعد الشقاء والغناء والتعب الذي لحق بالراعي إلا انه في الأخير وصل إلى الأهرامات واستخرج الكنز الذي كان يطمح في إيجاده وبهذا تمكن من تحقيق أسطوره الشخصية ولم يؤجلها إلى مستقبل لا يعرف مضامينه، ولا ثبات كل هذا استخدم الروائي هذه العبارات في الرواية حيث قال: "بعد نصف ساعة، اصطدم الرفش بشيء صلب، وبعد ساعة، وجد، أمامه، صندوقا، مليئا بقطع الذهب الإسبانية القديمة، وبأحجار كريمة، وأقنعة من الذهب مزينة بريش أبيض وأحمر..."²

- التركيز على علم الإشارات ولفت الانتباه إليه، لان هذا العلم يمكننا من معرفة خبايا وأسرار تفيدنا في حياتنا وخاصة في رحلاتنا، ومعرفة تفكيك شفرات هذه الإشارات يجعلنا نضمن نجاح وسهولة الرحلة، فمثلا رؤية " طائر يكشف عن وجود أفعى قريبة" وأن شجيرة تتيح لنا أن نعلم بوجود الماء على مسافة بضعة كيلومترات"³. فالإشارات مكنت الشاب من الوصول إلى الكنز، والشيخ (ملكي صادق) هو من نبهه إليها بقوله: " لا تنس لغة الإشارات، ولا تنس خصوصا الذهاب إلى نهاية أسطورتك الشخصية"⁴.

¹ الرواية، ص 17 .

² المرجع نفسه، ص 186 .

³ المرجع نفسه، ص 49، 50 .

⁴ المرجع نفسه، ص94.

- إلقاء الضوء على جمال الصحراء وسحرها وإبراز الجوانب الإيجابية الموجودة في مصر والبلاد العربية، فالصحراء من وجهة نظر الكاتب هي فسحة لأخذ الحكمة، وهذا ما قاله الكاتب - " باولو كويلو" -، على لسان بطل روايته : " أستطيع أيضا، أن أتعلم من الصحراء فهي تبدو لي أكثر قدما، و أبلغ حكمة".¹

- إظهار الإسلام على أنه دين حنيف، ودين تسامح وتصالح، " فباولو كويلو" يحترم هذا الدين، وأظهر إحترامه وتقديسه له، في جملة صاغها في أروع ما يكون، وهذه العبارات خص بها تاجر الكريستال المسلم الذي قدم طعاما للفتى وسد رمقه، وهذا ما حث عليه الإسلام، حيث قال : " إن القرآن يلزمنا بإطعام أي جائع".²

- إقناع الناس بفكرة أن ثمة أحلام تتحقق، وهناك أشخاص أمنوا بأحلامهم حتى أصبحت حقيقة، وأن القادر على الإيمان بحلمه، والسعي وراء تفسيره، يتمكن في الأخير من الوصول إلى الأفضل، وضرب هنا المثال بالفتى " سانتياغو"، المصدق لحلمه، والساعي وراء تحقيقه، وأيضا ذكرت قصة حلم سيدنا يوسف بدافع إثبات أن تفسير الأحلام وردت أيضا في القرآن الكريم.³

IV / تمظهر الآخر عبر المكان :

أراد " باولو كويلو" من خلال تأليفه لهذه الرواية، تصوير الأماكن التي زارها وعاشها بما تحتويه من أخبار وعجائب، وعادات، وبما تشمل عليه من فوائد تاريخية، وجغرافية، وهذه بالطبع الغاية الأساسية لأدب الرحلة، فهو يسمح بالتعارف والتقارب بين الأمم من خلال التبادل الثقافي والإجتماعي، ومن هنا تكون لديه القدرة على تحقيق التواصل.

¹ المرجع السابق، ص 91 .

² المرجع نفسه، ص 61 .

³ ينظر، المرجع نفسه، ص 124 .

كان " باولو كويلو " دقيق الملاحظة، ذا إحساس عال بالأشياء والأمكنة، فراح يصفها وصفا تفصيليا، وذلك من خلال وصف البيئات التي حل بها بطل روايته " سانتياغو " والأمكنة التي زارها.

تتطابق الأمكنة في رواية " الخيميائي " مع الأمكنة الحقيقية، أي البيئة الحقيقية التي يعيش فيها الكاتب، والتي بها كل أبعادها ومناطقها، فكل مكان ذكر في الرواية كان حقيقيا، حتى نلمس شيئا من الواقعية في الرواية، ومن بين هذه الأمكنة نجد : إسبانيا، طنجا، سبتة، سالم، أهرامات مصر، طريف، الأندلس...¹

تدور أحداث الرواية في إطار مكاني محدود، فقد كانت نقطة بداية الأحداث هي نفسها نقطة نهايتها، بحيث نعرف من خلال سير الأحداث، إن الفتى " سانتياغو " في بداية رحلته للبحث عن الكنز، " وصل مع قطيعه، إلى باجة كنيسة قديمة مهجورة ...، نبتت فيها شجرة جميز ضخمة مكان الغرفة الملحقة بالمذبح "²، وقرر عندها أن يقضي الليل مع أغنامه في هذا المكان، وفي نهاية الرواية، إكتشف الفتى أن الكنز مدفون في شجرة جميز. " فتذكر أنه جاء ن مرة، إلى هذا المكان، مع نعاجه، وقضى ليلة هادئة " ³، عندها قرر العودة إليه "فوصل إلى الكنيسة المهجورة، في حين كان الليل على وشك أن يهبط . كانت شجرة الجميز لا تزال مكانها، في الغرفة الملحقة بالمذبح . " ⁴

نجد أن البيئة هي العامل الذي يقوم برسم الشكل العام للفكر والثقافة والأخلاق، وقد تناول الكاتب البيئة المكانية للآخر وخصص لها مساحة كبيرة من وصفه وتصويره، فهي في نظره " الطبيعة الجغرافية التي تجري فيها الأحداث والمجتمع، وصافية من ظروف وأحداث تؤثر على الشخصيات ومظهرها العقلي والنفسي والاجتماعي، و يحمل خصوصية قومية . "⁵

¹ ينظر، الرواية، ص : 50، 51، 59، 25، 30، 27، 22 .

² المرجع نفسه، ص 17 .

³ المرجع نفسه، ص 185 .

⁴ المرجع نفسه، ص 185 .

⁵ غاسيتون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ص 07.

وقد تعددت إهتمامات هذا الوصف وصلت إلى أماكن كثيرة ومتنوعة من حيث الطبائع والخصائص، ونلمح هذا في وصف الفتى " سانتياغو " لشوارع طنجة قائلا : " كانت كل النواصي والجوانب، مملوءة بضائع معروضة للبيع، وصلا أخيرا إلى وسط ساحة كبيرة، حيث تقام السوق. كان ألوف الأشخاص في المكان يتجادلون ويبيعون ويشتررون، وكانت المنتوجات الزراعية تجاور الخناجر والسجاد والغلايين من شتى الأنواع " ¹، ونجد أيضا - إلى جانب الحديث عن السوق وشوارع طنجة - وصفا آخر للمكان الديني، عندما رأى الشاب رجلا يصعد" إلى أحد تلك الأبراج الشهيرة وبدأ يؤذن- ركع الموجودون في المكان، جميعهم، وراحوا يصلون " ²، وبهذا يتعدد الحضور المكاني في رواية (الخيميائي) ويتنوع بتنوع المواقف المتحدث عنها، فالمكان مسرح لوصف مجرى الأحداث، و الكاتب قدمه من خلال تجربته الذاتية، ورؤيته النافذة في أعماقه .

ومن هنا نتوصل إلى نتيجة مفادها، أن طبيعة العلاقة بين الشخصيات والمكان تمحورت في مضامين عدة انبثقت منها ملامح الآخر الساكن بهذا المكان، وقد كانت هذه العلاقة محاولة لإستكانة صورة الآخر العربي، وعرفة طريقة حياته وإكتشاف أسراره وخبائاه.

V / أنماط الآخر في الرواية :

تتعدد هذه الأنماط بتعدد مواقف جريان الأحداث ونجد منها :

1 / صورة الآخر المسلم المضيف:

يوصل الرحالة المغامر " سانتياغو" نقل المشاهد التي تعكس نظرتة لأخلاق الآخر العربي، ليحدثنا هذه المرة بصورة إيجابية عنه- بالرغم من أنه إسباني- إلا انه تحدث عن صفة الكرم والجود التي ميزت الفرد العربي المسلم خاصة، ومن خلال حديثه عن بائع الكريستال تبين أن الكاتب يحب العربي ويرغب في إعطائه صورة حسنة لدى القارئ مهما

¹ الرواية، ص 52 .

² المرجع نفسه، ص53 .

كانت جنسيته، وقد نسب إليه صفات الرجل الصالح المكرم للجائع، وهذا ماظهر حين ساعد تاجر البلور الشاب وسد رمقه، وقال: "إن القرآن يلزمنا بإطعام أي جائع".¹ ولأن الرجل كان لطيفا ومحبا للشباب تعلق به فأصبح الشاب يبادلُه نفس الإحساس، وحين مغادرته أحس بالبكاء وغادر من دون أن يودعه، لأنه لا يريد أن يبكي، فرما تلاقيا مرة أخرى، ولحين لقائهما سوف يتحصر على هذه الفترة التي عاشها معه.²

تجلت أيضا صورة الآخر العربي المساعد لغيره حتى ولو بتقديم النصيحة، فنجد أن صاحب المقهى الذي زار "سانتياغو"، حين أدرك أنه غريب عن المنطقة، قام بتحذيره من اللصوص ونبهه إلى كثرتها قائلا: "طنجة ليست كسائر مناطق إفريقيا. نحن هنا في ميناء، والموانئ، جميعها، مغارات لصوص".³ وطيلة سفر "سانتياغو" في البلاد العربية رصد عدة مظاهر تكاد تخلو منها السليبيات، فالصفات التي ألحقها الكاتب بالآخر العربي زادت من ثقة الآخر الأوروبي به، حتى أصبح يميل إليه ويتشوق إلى زيارته ليتطلع على أسرار وخبايا حياته وعاداته وتقاليده، فقد ساهم الروائي "باولو كويلو" في إزالة النظرة السيئة التي لطالما كانت لصيقة بالعربي مخوفة لغيره الغربي، وكلما إحتك الطرفان ببعضهما زال الإختلاف بينهما، وساد السلام وتحقق التعايش وتطورت أحوال الأمة، وبهذا يصبح فضاء التواصل بالآخر في زمن العولمة أكثر إرتباطا وحميمية، عبر العديد من فرض التواصل واللقاء في مختلف مجالات العلم والعمل والحياة ككل.

2/ صورة الآخر العربي الحكيم :

يتابع الروائي "باولو كويلو" سرد العديد من إيجابيات الشعوب العربية، وذلك من خلال رصد جملة من الحكم على لسان شخصيات الرواية، ومن بينها نجد شخصية الملك :
 " ملكي صادق -"، وهو شيخ عجوز من الحكماء، قام بتزويد القارئ بالكثير من الحكم

¹ الرواية، ص 61 .

² ينظر، المرجع نفسه، ص 81 .

³ المرجع نفسه، ص 51 .

لأخذ العبرة وإعمال العقل في إتخاذ القرارات المصيرية، ومن بين الحكم البارزة في الرواية نجده يقول في حديثه عن خدعة العالم : " في لحظة معينة من وجودنا، نفقد السيطرة على حياتنا، فتغدو، منذ ذلك، مسوقة بالقدر، وهنا تكمن أكبر خديعة في العالم." ¹

ظل الشيخ يحاول تعديل نظرة الفتى إلى الحياة، لهذا لم يتركه يذهب حتى غير وجهة نظره إليها، وما جعل الشاب يثق بالشيخ هو قدرته على معرفة خباياه النفسية، فحينما أدرك الشاب قوة العجز الغير عادية أراد أن يستفيد منه أكثر وسأله عن الأسطورة الشخصية، حينها قال الشيخ : " إن كل منا يعرف، في مطلع شبابه، ماهي أسطوره الشخصية، ... ففي تلك المرحلة من الحياة، يكون كل شئ واضحا وممكنا، ولا نخاف أن نحلم بكل مانحب أن نفعله في الحياة، بيد أن قوة غامضة تحاول مع مرور الوقت، أن تثبت أن المستحيل تحقيق أسطورتنا الشخصية." ² ولم يتوقف الفتى عند هذا الحد من الأسئلة، وإنما بحث عن معنى " القوى الغامضة "، وكعادته رد الشيخ عليه بقوله : " إنها تبدو قوى سيئة، ولكنها تعلمك كيف تحقق أسطورتك الشخصية، وهي التي تهئ عمك وإرادتك، لأن هناك حقيقة كبرى في هذا العالم : أيا تكن، وهما تفعل، عندما ترغب حقا بشئ ما، فإن تلك الرغبة تولد من روح الكون، هذه هي مهمتك على الأرض." ³

زاد الشيخ من شجاعة وأمل الشاب في تحقيق حلمه حين قال له : " عندما ترغب في شئ ما، فإن الكون بأسره يطاوعك على القيام بتحقيق رغبتك " ⁴، وعلم الملك الفتى معلومة وأكد عليه القيام بها وهي المدرجة تحت قوله : " إذا أوعدت بما لم تملكه بعد، فسوف تفقد الرغبة في الحصول عليه." ⁵، وهكذا ساعد الرجل الحكيم الشاب " سانتياغو " في إتخاذه

¹ المرجع السابق، ص 34 .

² المرجع نفسه، ص 36 .

³ المرجع نفسه، ص 37 .

⁴ المرجع نفسه، ص 38 .

⁵ المرجع نفسه، ص 40 .

لقرار البحث عن أسطوره الشخصية وأبعد عنه فكرة العدول عنها، وآخر ما ختم به قوله : " ولا تنس، خصوصا، الذهاب إلى نهاية أسطورتك الشخصية." ¹

الغرض من وراء إدراج الكاتب لهذه الحكم بلسان الشيخ العجوز، هو توضيح وإبراز الدور الذي تلعبه الحكمة في تسيير حياة الإنسان، والوصول به إلى الأفضل في شتى المجالات، فالتفكير السديد يمكن الفرد من تحصيل نتائج إيجابية .

3/ صورة المرأة العربية المتزنة وسحر الأنوثة :

يصف الرحالة " سانتياغو " النساء اللواتي تعرف عليهن في طريقه إلى الأهرامات، وقد صورهن في أحسن صورة هذا لشدة إعجابه وتعلقه بهن، فقد تعرف على ابنة التاجر الذي إشتري صوف نعاجه، وهي أول امرأة صادفها في رحلته، فوصف لنا جمالها الخلقي وقال: " إنها فتاة ذات ملامح أندلسية، ولها شعر أسود طويل . وعينان تذكيران، على نحو غامض، بالغزاة المغاربة القدامى." ²، وفي كثير من الأحيان يعود ليفكر بها، متذكرا أنه جاء من اجل السفر والبحث عن الكنز ولا يحب أن يبقى معها، ولكنه يشعر بالحنين والرغبة في رؤيتها مصرحا أنه " عرف الكثير من القلاع والعديد من النساء (ولكن ما من امرأة تشبه تلك التي تنتظره بعد يومين.) " ³، ففي نظره تلك الفتاة متفردة لا تشبه أي امرأة، بالرغم من كل هذا الحنين إليها إلا انه تركها وتابع رحلته.

واصل الشاب رحلته مفكرا بأنه لن يلتقي مع امرأة أخرى تشبه ابنة التاجر، إلا أنه صادف وأن قابل " فاطمة " وهي فتاة أنسته ماضى لدرجة أنه كاد يتخلى عن حلمه وأسطوره الشخصية في سبيل حبه وعشقه لها، فقد كان شديد التعلق بها، وقد إلتقاها عند بئر جاءت لتملاً جرتها منه وحين تقدم الفتى نحوها ليسألها عن مكان الخيميائي " بدا الأمر

¹ الرواية ، ص 45 .

² المرجع نفسه ، ص 19 .

³ المرجع نفسه، ص 27 .

وكان الزمن قد توقف، وكان روح العالم قد إنبثقت بكل قوتها أمام الفتى.¹ وهنا بدا الفتى في تصوير ووصف الفتاة مشاهدا " عيناها السوداوين وشفثيها الحائرتين بين التبسم والصمت " هنا " أدرك الجزء الجوهري، الأكثر إفصاحا في اللغة التي يتكلم بها العلم، والتي تستطيع كل كائنات الأرض أن تفهما في أعماقها، وهو ما يسمى الحب."² لهذا السبب أراد الفتى التخلي عن حلمه والزواج من " فاطمة " وصرح بحبه لها قائلا : " جئت لأفصي إليك بأمر بسيط للغاية : أود أن تكوني زوجتي - إنني أحبك ".³

حكى الشاب للفتاة سبب وصوله ومجيئه إلى الصحراء، بعدها غادرت وفي المرة الموالية من لقائهما أصرت على متابعة الفتى لطريقه قائلة : " أريدك ان تتابع طريقك باتجاه ما جئت تبحث عنه . وإذا كان ينبغي لك أن تنتظر نهاية الحرب، فذا أمر جيد، أما إذا كان عليك الرحيل قبل ذلك، فأذهب، إذن، نحو أسطورتك، فالكتبان تتغير بفعل الرياح، ولكن الصحراء تستمر هي ذاتها، وكذلك هو الشأن الحب الذي ولد بيننا."⁴، ودفعت " فاطمة " ب " سانتياغو" إلى إنهاء ما بدا به، وإن كان يحبها بالفعل سيرجع إليها مضيئة : " إذا كنت جزءا من أسطورتك، فسوف تعود ذات يوم، هذا ما كتب لك ".⁵ وهكذا شجعت فاطمة الشاب على السعي وراء أسطورته، وعدم العدول عنها وهي بدورها ستنتظره ليعود إليها.

وصفت المرأة في هذه الرواية بصفات كلها أنوثة، ففي المقولة التالية نلمح ذلك : " كان الفتى يصغي إلى صوتها ن ويجده أكثر جمالا من وشوشة الريح وأشجار النخيل."⁶

ولم يتوقف الكاتب عند جمالها الخلفي، وإنما قام بإظهار صفاتها الخلقية والروحية أيضا، فقد ركز على وفائها لزوجها أو حبيبها والتزامها بعباداتها وتقاليدها خاصة في لباسها،

¹ المرجع السابق ، ص 111 .

² المرجع نفسه، ص 111 .

³ المرجع نفسه، ص 114 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 116 .

⁵ المرجع نفسه، ص 116 .

⁶ المرجع نفسه، ص 117 .

فمن تلبس ثوبا أسود تعتبر متزوجة، وهذا ما عرفه الشاب حين حذرت المرأة التي سألتها عن الخيميائي ناصحة إياه بعدم " توجيه الكلام إلى النسوة اللواتي يرتدين ثوبا أسودا، لأنهن متزوجات . وتلفته إلى إحترم التقاليد . " ¹

4/ صورة الآخر العربي المحافظ على تقاليده :

تتجلى صورة العربي المحافظ على عاداته وتقاليده في الكثير من محطات الكتابات والمقالات والمدونات العربية والأجنبية، ومن بين تجلياتها في الأدب، نجد حضورها داخل هذه المدونة، إذ أن صاحبها الروائي " بولو كويلو" قام بتسليط الضوء على جملة من القضايا المنيرة والصور الهادفة التي توحى بشهامة العربي وأخلاقه الفاضلة النابعة من تقيده بالدين الإسلامي والتزامه بمبادئه، حيث إشتق منه العديد من العادات والتعودات، وأبى إلا المحافظة عليها، فالآخر العربي إنسان متمسك بعاداته وتقاليده، مختلف عن الأوروبي في مرجعياته الإجتماعية والثقافية والدينية والحضارية...، والمتمعن في صورة الرحالة الأوروبي للآخر العربي، - سيدرك حتما الفرق الشاسع بين المجتمعين وذلك إنطلاقا من المعاملات الإجتماعية، فبتتبعنا للشباب المغامر " سانتياغو " لاحظنا بأنه يندش في الكثير من عادات الشعب العربي وخاصة في معاملاته مع نظيره الأجنبي الذي يحمل نفسه عناء مساعدته بدون أجر، فالفتى لقي الإحسان من عند الآخر العربي وهو لا يعرفه وذلك في العديد من المواقف الحرجة التي حدثت معه من بينها : إحساسه بالجوع وهو لا يملك " في جيبه فلس واحد".²، ورغم ذلك لم يبق جائعا وإنما ساعده بائع حلويات وسد رمقه عندما " قدم له أول قطعة حلوى أعدها. " ³، هكذا تؤكد الفتى من ان الآخر العربي يحسن معاملة الآخرين حتى ولو كانوا غرباء عنه.

¹ الرواية ، ص110 .

² المرجع نفسه ، ص57 .

³ المرجع نفسه، ص58 .

يحبذ الإنسان العربي إطلاع الآخر الغربي بكل ما له علاقة بحياته، ويصر على ربطها بالتقليد الذي بات قيذا له لتأكده من انه أنقذ مصر من المجاعة في زمن يوسف الصديق، وجعل من شعبها الأغنى بين الشعوب . والتقليد يعلم الرجال كيف يعبرون الصحراء، وكيف يزوجون بناتهم، ويقول التقليد إن أي واحة هي أرض محايدة، لأن لكلا المعسكرين واحات، جميعا عرضة للأخطار، لكن التقليد يقول لنا أيضا أن نصدق رسائل الصحراء، لان كل ما نعرفه علمتنا إياه الصحراء.¹

لذلك ظل العربي محافظا على تقاليده التي إستمرت جيلا بعد جيل، فهو يجعل منه ماضيه الذي لا يزول وحاضره الذي لا يندثر، فهو يلتزم " بإحترام التقليد في شتى الظروف. فالشئ الوحيد الذي يتغير في الصحراء عندما تهب الرياح، إنما هو الكثبان."²

5 - صورة الآخر اللص المحتال :

لم يقف الرحالة الأجنبي " سانتياغو " عند المواقف الإيجابية للعربي و فقط، بل أنه تطرق أيضا إلى الجوانب السلبية التي ميزت خصاله، وكغيره من الشعوب وجدت في حياته إيجابيات حفزت الآخر على التعرف عليه، وسلبيات أيضا مهدت للبعض الطريق للتحدث عنه، ومن بين السلبيات التي أظهرها الراوي في روايته - الخيميائي - نجد المحطة التي تعرض فيها " سانتياغو " للنصب والإحتيال من قبل شاب ماكر لاحظ بأنه يمتلك مالا، لهذا فكر في حيلة لسرقته، وقد تأكد من ذلك حين سأله : " ينبغي إجتياز الصحراء الكبرى بكاملها، ومثل هذا الأمر يتطلب مالا . أديك المال الكافي أو لا " ³، وعندما تيقن من أن خطته ستتطوي على الشاب قرر مرافقته، وفي طريقهما إقترح عليه إشتراء جملين لمساعدتهما على مشاق الرحلة، وعند وصولهما للسوق إنشغل الفتى بالنظر إلى سيف عربي

¹ ينظر، المرجع السابق، ص 124 .

² المرجع نفسه، ص 131 .

³ المرجع نفسه، ص 51 .

شد انتباهه، ولإعجابه به نسي مراقبة الصديق الماكر، وحين تذكره لم يجد له " أثر في أي مكان، لا أثر له على الإطلاق ".¹

وبفضل إستخدام الحيلة والدهاء سرق اللص المال الذي إدخره الفتى لمتابعة رحلته إلى الأهرامات .

توجد صورة أخرى للآخر اللص المحتال، ولكن في هذه المرة كانت السرقة بالإكراه وإستعمال العنف، فقد صور الروائي أشخاصا مترصدين يحبون إثارة المشاكل، يشكلون عصابات لتخويف الآخرين ويأخذون أموالهم بغير حق، وهذا ما ظهر لنا في نهاية الرواية، حين وصل الشاب إلى الأهرامات وفرح برؤيتها، متأكدا أن كنزه بجانبها، تعرض للسرقة من قبل جماعة هاربة من الحرب في حاجة إلى المال، فقام أحد الرجال و " أمسك ذراعه، وجره خارج الحفرة، في حين عمد آخر إلى تفتيشه ؛ فعثر على قطعة الذهب القابعة في أحد جيوبه " ²، ولم يكتف الرجال بسرقة الفتى بل " إنهالوا عليه ضربا، ضربه حتى أرسلت الشمس شعاعاتها، كانت ثيابه ممزقة، وكان يحس أن الموت قريب منه ".³

يتضح لنا من خلال هذه المقولات نظرة الأوروبي للآخر العربي وصورته التي إتصفت به، وهي صورة تؤكد مدى ميل العربي لإثارة المشاكل، ورغبته في العيش حرا لا يتقيد بأي إلتزامات، فهو إنسان ذو شخصية نائرة مفطور على الصراعات والثورات، وبالرغم من أن "كويلو" كان معجبا بالشرق إلا أنه أراد توضيح وإبراز سلبياته، ولكن معظم مواقفه الواردة كانت إيجابية، بتصريح على لسان البطل " سانتياغو " .

¹ المرجع السابق ، ص 52 .

² المرجع نفسه ، ص 180 .

³ المرجع نفسه، ص 181 .

6 - صورة الآخر الخيميائي ساحر الصحراء :

ارتأى الروائي " باولو كويلو " أن يظهر صورة العربي المزود بعلم الخيمياء، على أنه رجل متزن يملك من الحكمة القدر الذي يجعله " يعالج كل الأمراض " ¹، وهذا ما جعل الناس يظنون بأنه ساحر، وعند سؤال الفتى عنه، قال أحد الرجال : " إن الله وحده، هو الذي يشفي من جميع الأمراض . أنتما تبحثان على سحرة " ²، فمعرفة الخيميائي لأسرار العالم جعله في نظر الكثيرين ساحرا و قالوا بأنه : " رجل يعرف أسرار العالم، ويتكلم مع الجن في الصحراء " ³، لكن في الحقيقة هو رجل طاعن في السن " يبلغ من العمر مئتي سنة " ⁴، وهذا مكنه من الغوص في أسرار الحياة، متعلما ما يفيد ويفيد غيره في متابعة العيش فيها والتغلب على مشاكلها .

واصل الكاتب إبراز الجوانب الإيجابية التي يتحلى بها الآخر العربي، وذلك من خلال جعل شخصية الخيميائي شخصية تحب مساعدة غيرها حتى وإن كانوا غرباء أجانب عنها، "فسانتياغو " كان شابا أوروبيا وبالرغم من ذلك قدم له الخيميائي يد العون وعرفه على المسائل التي تسهل عليه عبور الصحراء، والوصول إلى الأهرامات، فقد قرر أن يكون دليله في الصحراء، وفي طريقهما علمه الكثير من المعلومات التي تنفعه في حياته، ووضعها على الدرب الصحيح الذي يؤديه إلى الكنز ⁵.

جاءت رحلة الفتى مع الخيميائي على شكل رسائل موجهة إلى كل إنسان يطمح إلى تحقيق أسطوره الشخصية، وبما أن الخيميائي صاحب عقل فطن وحكمة لا يستهان بها، أوصل الكاتب على لسانه الكثير من الرسائل المرجو إتباعها من طرف هؤلاء الحالمين،

¹ الرواية، ص 111 .

² المرجع نفسه، ص 111 .

³ المرجع نفسه، ص 113 .

⁴ المرجع نفسه، ص 136 .

⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص 133 .

وأدرجت هذه النصائح على شكل مقولات أخبر بها الخيميائي الشاب الرحالة المغامر، ونجد منها : " ينبغي أن تعثر على كنزك، وإلا يغدو كل ما إكتشفته في رحلتك بلا معنى".¹

نجد أيضا قوله : " الشجاعة هي الفضيلة العظمى لمن يبحث عن لغة العالم".²

وزود الفتى بروح العزيمة حين قال : " ينبغي ألا تضعف عزيمتك، حتى لو كنت قد أنجزت هذا الشوط الكبير من السفر . ينبغي أن تحب الصحراء، ولكن لا تثق بها ثقة عمياء، لأنها محك الرجال : تختبر كل إمريء من وقع خطواته، وتقتل من يستسلم للسهو".³

نقل " كويلو " على لسان الخيميائي سحر الصحراء وبهائها، وكغيره اعتبر " كويلو " الصحراء مهد الحكمة ومحط الحكماء، ومن يستطيع أن يجد فيها الحياة، هو وحده الذي يستطيع أن يجد فيها الكنوز أيضا.

نقول في نهاية إتمامنا لهذا الفصل، أن الكاتب "باولو كويلو" حاول في رواية "الخيميائي"، أن يبدي رأيه في الآخر العربي، مستعينا في ذلك بشخصيات نطق بلسانها كي يوصل رسالته وأرائه للقارئ.

وقد قدم لنا جملة من الصور عن العربي تكاد تنعدم فيها النظرة السلبية، وغلب الجانب الإيجابي في نظرته، من أجل تأكيد فكرة حبه للعربي وإعجابه به.

¹ المرجع السابق، ص 133 .

² المرجع نفسه، ص 129 .

³ المرجع نفسه، ص 129 .

خاتمة

خاتمة

نخلص في خاتمة هذا البحث إلى أهم النتائج المرجوة من هذه الدراسة والتي تناولت العربي في أبهى صورة، وذلك إن دل على شيء إنما يدل على براعة الكاتب "باولو كويلو" في إيصال هذه الصورة للمتلقي، سعياً منه إلى تحسين صورة الآخر العربي في أعين نظيره الأوروبي، الذي طالما نظر إليه بصورة مشوهة تحيل إلى كل ما هو سيء ومملوء بالعنف والوحشية.

ومن خلال الإحاطة بأغلب صور الآخر العربي الواردة في هذه الرواية، خلصت دراستنا هذه إلى جملة من النتائج أهمها:

1- تعتبر الصوراتية أو (الصورولوجيا Imagologie) ميدانا خصبا للدراسة المقارنة؛ نظرا لأهمية حملتها الثقافية والفكرية والاجتماعية، وكذا الدينية، فالصورة تقرنا من حقيقة الآخر، وتعمق وعينا بالذات.

2- تعدد وسائل تلقي صورة الآخر بتعدد وسائط الإتصال والتثقاف بين الأنا والآخر كالإستشراق والرحلة والترجمة إلى غير ذلك من الوسائل التي تنتقل الآخر بكل تفاصيله .

3- مثلت مصر قبلة مهمة للرحالة الغربي، باعتبارها مهدا للحضارات القديمة، وهذا ما جعل "باولو كويلو" يتخذها سبيلا بالنسبة للبطل كي يحقق حلمه. وولع الأوروبيين وإعجابهم بالأهرامات والوصول إليها كان السبب في محور مدار الرواية، وجعلها كنز يستحق السفر لرؤيتها.

4- تصوير الآخر العربي في أحسن صورته، وإظهاره بأنه إنسان مضياف يحب مساعدة غيره، وفِيّ، يحب الإنسان المتحمس للعمل، محافظ على عاداته ولا يتخلى عن تقاليده، وهذه النظرة قل ما نجدها في كتابات المؤلفين الأوروبيين.

5- التركيز على منطقة الصحراء والتلميح إلى أنها مقر الحكمة وبيت الصفاء، وزيارتها يمكن الفرد من تعلم الكثير من الخبايا والأسرار حول العالم.

6- مهدت هذه الدراسة الطريق للغربي كي يأخذ لمحة عن العربي وشوقته للتعرف عليه، علَّ الرغبة تأخذه لزيارتها، بهدف تصويره في أجمل صورته مثلما فعل الروائي "كويلو".

7- حملت رواية "الخيميائي" في طياتها الكثير من المحاسن للعربي، من خلال خضوع صورها إلى جوانب إيجابية، أكثر منها سلبية؛ تزيل بعض التعصب الموجود في أذهان وقلوب الغربيين، إنطلاقاً من عقدة التفوق والمركزية عندهم، فقد حولت فكرة أن الاختلاف يولد الصراع والتضاد بين الأنا والآخر، إلى مفهوم آخر مفاده أن الاختلاف يمكن أن يكون مصدراً للوحدة والاتلاف، مما يفتح لهذا البحث مساهمات نقدية أخرى تغري المتلقي كي يخوض في غمار بحث آخر في هذا الصدد، لأن هذا البحث في النهاية هو مجرد قطرة في بحر، ونأمل أن يأتي باحثين آخرون كي يظهروا جماليات أخرى من جوانب لم نستطع الإلتفات إليها والتحدث عنها، من أجل أن يستعيد العربي مكانته الرفيعة التي تفوق أي تصوير...

وفي الأخير يمكننا حصر بعض القضايا الأخرى التي عالجتها الرواية في النقاط التالية:

1/ الإستقرار والترحال:

يعيش الإنسان في تضارب وتصارع يصنعان له توتراً بين الإستقرار والعيش مع أناس معينين، والعمل في مجال محدد، ولكن هذا يجعله يدور في مجال ضيق ذو علاقات محدودة، وبين رغبته في الترحال والتجوال للإنتقال في ربوع الأرض وكشف معالم جديدة وتفكيك الألغاز، لكي يستطيع تغيير حياته القديمة إلى حياة جديدة تحقق له الأفضل .

2/ الأسطورة الشخصية:

هي الرغبة في تحقيق الحلم، وهذا أمل كل إنسان، وتختلف من شخص لآخر، فهناك من يعرف أسطوره الشخصية ويصمم على الوصول إليها، في حين نجد من يعرفها ولكنه

خاتمة

يبقى خائفا مما تخبؤه له من متاعب للوصول إليها، ومن يريد الوصول إلى أسطوره الشخصية وجب عليه المغامرة وبذل مجهود كبير حتى يصل إلى مبتغاه، ويحقق أحلامه.
والله ولي التوفيق.

ملاحق

* ملخص أحداث رواية " الخيميائي " " لباولو كويلو "

تقوم أحداث هذه الرواية على راعي أندلسي يدعى " سانتياغو"، كان يتولى العناية بقطيع كبير من الأغنام وقد كان محبا لهم، ومتعلقا بهم لدرجة أنه إصطحبهم معه للبحث عن أسطورته الشخصية، هذه الأخيرة التي كانت عبارة عن حلم فسرت له العجربة بأنه يدل على كنز الأهرامات، قرر الفتى البحث عن هذا الكنز وتحقيق أسطورته الشخصية، وبما أنه كان محبا للترحال والسفر وافقه آياه في القيام بهذه المغامرة.

كان الفتى مهتما بالقراءة والمطالعة فأصطحب معه كتابا يتسلى به وقت فراغه، كان مع خرافه في كنيسة مهجورة في وسطها شجرة، وذات يوم إلتقى مع شيخ عجوز يدعى (ملكي صادق) وهو ملك مدينة " سالم" الذي أخبره بأنه يستطيع تحقيق أسطورته الشخصية، وسيعثر على الكنز وهذا ما زاد توتر الشاب وادخله في صراع، إما البقاء مع خرافه وإما تركهم والسعي وراء تحقيق حلمه، إلا أنه في الأخير يقرر بيع خرافه والذهاب إلى الأهرامات، وقد نبهه الملك إلى إتباع الإشارات.

بدأ الفتى بالتفكير في كيفية الوصول إلى الأهرامات، فلم يكن بحوزته المال الكافي للترحال من منطقة إلى أخرى، وبهذا عمل عند تاجر الكريستال وبفضل ذكائه طور من خدمات المحل وأصبح المتجر يعج بالزبائن، وفر الشاب من عمله المال الذي يساعده على السفر ممتنا للتاجر.

تذكر الفتى حرص الشيخ على الإشارات فعمل بنصيحته ولم تخلو طريقه منها فاتبعها طيلة رحلته هذه الأخيرة التي كانت مليئة بالمتاعب والعراقيل التي كادت تمنعه من الوصول إلى حلمه، إلا أن الشاب اجتازها بصبره وذكائه.

تعرف " سانتياغو" في القافلة المسافرة إلى مصر على شاب إنجليزي يريد الوصول إلى أسطورته الشخصية - وهي تحويل المعدن إلى ذهب- وسبب ترحاله البحث عن الخيميائي

الذي يستطيع مساعدته، والذي بفضل - الخيميائي - تعلم الفتى الكثير، مثل التعرف على لغة الألم وروح العالم، واضطرت القافلة إلى إيقاف الرحلة في واحة بسبب حرب شابت بين القبائل، وهناك تعرف الشاب على حب حياته، وهي فتاة فاتنة تدعى " فاطمة "، وهنا تعرض إلى صراع بين البقاء إلى جانب حبيبته أو إكمال رحلته للبحث عن الكنز، إلا أنه في النهاية وبمساعدة " فاطمة " قرر متابعة سفره .

تابع الفتى سفره مع الخيميائي وفي طريقهما إعتقلهما الجيش، وعندما سألهما قائد الجيش عن سبب وجودهما في هذا المكان، قال الخيميائي بأنهما أحضرا لهم كيس من النقود ليشتري به أسلحة تساعدكم في الحرب، فقدم الخيميائي كيس الفتى المملوء بالنقود للقائد، فسأل عن الفتى الذي يصطحبه حينها أخبره بأنه خيميائي يستطيع أن يتحول إلى رياح ويضرب خيم العدو فضحك الجميع، طلب الخيميائي من القائد مهلة (03 أيام) ليبرهن على ما يقوله فوافق عليه.

مر اليومان الأعلان وهو يتأمل في الصحراء ويفكر بماذا سيفعل حتى يتحول إلى رياح، وفي اليوم الثالث إجتمع الجيش حتى يرو ماذا سيحصل، فتقدم الشاب وبدا يتحاور أولاً مع الصحراء، ثم مع الرياح، ثم مع الشمس وفي النهاية نجح في ذلك وتحول إلى رياح.

قام القائد بإطلاق سراحهما وكلف حراسا بمرافقتهم إلى المكان الذي يريدان الذهاب إليه، سارا نهارا كاملا إلى أن وصلا إلى دير قبضي فطلب الخيميائي من الحراس العودة، وقال للفتى أنه من هنا سيكمل طريق لوحده، دخل وأستأذن الراهب في إستعمال مطبخه فأذن له، عندما وضع كمية من الرصاص في قدر ووضعها على النار لتتصهر وأخرج من جيبه بيضة شفافة اللون ووضع منها كمية شعرة واحدة في الرصاص المنصهر حينها تحول إلى ذهب، قام الخيميائي بتقسيم قطعة الذهب إلى أربع قطع، قطعة للفتى وأخرى له والثالثة للراهب والرابعة أعطاها للراهب في حالة رجوع الفتى دون عثور عن الكنز.

إنطلق الشاب في الصحراء فحدثه قلبه أنه سيجد كنزه عندما تنزل دموعه، فسار إلى أن وصل إلى كثبان كبير عندما تسلقه رأى الأهرامات وبدأ يبكي، وحفر في المكان الذي وقعت فيه دموعه.

مر به ثلاثة رجال هربوا من الحرب وكانوا يريدون المال، ففتشوه ولم يجدوا بحوزته إلا القطعة الذهبية فأخذوها وقاموا بضربه حتى أخبرهم بالحلم والكنز الذي يبحث عنه قرب الأهرامات، فالتفت إليه قائدهم وقال له بأنه حلم حلما بأن هناك كنزا في الأندلس موجود في كنيسة مهجورة في وسطها شجرة إذا حفر جذعها وجد كنزا، إلا أنه ليس غبي حتى يعبر الصحراء بمجرد حلم، حينها تذكر الشاب المكان الذي كان ينام فيه مع قطيعه وأدرك أنه مكان الكنز.

عاد "سانتياغو" إلى الكنيسة المهجورة وبدأ بحفر جذع الشجرة حتى وجد الكنز فرح كثيرا وقال: "لا بد أن الملك كان يعرف أن الكنز هنا، فلماذا لم يخبرني بذلك"، سمع الرياح تقول أن هذا أفضل فقد رأى الأهرامات وهي جميلة جدا، وكان ذلك الصوت صوت الخيميائي، ثم قال في نفسه: "ها أنذا يا فاطمة أني قادم".

نبذة عن حياة المؤلف " باولو كويلو "

باولو كويلهو بالإنجليزية (Paulo Coelho) روائي وقاص برازيلي ولد في 24 أغسطس 1947 تتميز رواياته بمعنى روعي يستطيع العامة تطبيقه مستعملاً شخصيات ذوات مواهب خاصة، لكن متواجدة عند الجميع. كما يعتمد على أحداث تاريخية واقعية لتمثيل أحداث قصصه.

عين سنة 2007 رسول السلام التابع للأمم المتحدة.

تعد الخيميائي أشهر رواياته وتمت ترجمتها إلى 80 لغة ووصلت مبيعاتها إلى 150 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم .

ولد في ريودي جانيرو عام 1947 قبل أن يتفرغ للكتابة، كان يمارس الإخراج المسرحي، والتمثيل وعمل كمؤلف غنائي، وصحفي، وقد كتب كلمات الأغاني للعديد من المغنيين البرازيليين .

نشر أول كتبه عام 1982 بعنوان "أرشيف الجحيم"، والذي لم يلاق أي نجاح. وتبعت مصيره أعمال أخرى، ثم في عام 1986 قام كويلو بالحج سيرا لمقام القديس " جايمس في كومبوستيلا"، تلك التي قام بتوثيقها فيما بعد في كتابه " الحج"، في العام التالي نشر كتاب "الخيميائي"، وقد كاد الناشر أن يتخلي عنها في البداية، ولكنها سرعان ما أصبحت من أهم الروايات البرازيلية وأكثرها مبيعا.

حاز على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة، ونال على العديد من الأوسمة والتقدير. وقد باع كويلو أكثر من 150 مليون كتاب حتى الآن، وقد اعتبر أعلى الكتاب مبيعا بروايته 11 دقيقة، حتى قبل أن تطرح في الولايات المتحدة أو اليابان، و 10 بلدان أخرى. واحتلت " الزهير" -2005- المركز الثالث في توزيع الكتب عالميا وذلك بعد كتابي " دان براون شيفرة دا فينشي" و " ملائكة وشياطين"، وتعد الخيميائي ظاهرة في عالم الكتابة، فقد وصلت إلى أعلى المبيعات في 18 دولة، وترجمت إلى 65 لغة وباعت 300 مليون نسخة في 150 دولة .

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إدوارد سعيد، تعقيبات على الإستشراق، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
- 2- أمين جلال أحمد، المشرق العربي والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.
- 3- أمينة رشيد، الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.
- 4- بن سالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2003م.
- 5- بيير برونيل وآخرون، الوجيز في الأدب المقارن، تر: غسان السيد، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، دط، 1999 م .
- 6- تيري هنتش، الشرق الخيالي ورؤية الآخر، صورة الشرق في المخيال الغربي، الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر: مي عبد الكريم محمود، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2006م.
- 7- جابر عصفور، المرايا المتجاورة- دراسة في نقد طه حسين، دار القباء، مصر، د.ط، 1998م.
- 8- دانييل هنري باجو، الأدب المقارن، تر: غسان السيد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، دط، 1997م .
- 9- داود سلوم، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
- 10- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر: محمد يحيان، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، ط1، 2008م.

- 11- سعيد إدوارد، الإستشراق، المعرفة، السلطة الإنشاء، تر:كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- 12- سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 13- الضناوي سعدي، جوزيف مالك، معجم المترادفات والأضداء، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، دط، 2010م.
- 14- طه نداء، الأدب المقارن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1987م.
- 15- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986م.
- 16- عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، دارالنهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
- 17- عبود عبده، الأدب المقارن مشكلات وأفاق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1999م.
- 18- عدد من المفكرين العرب، التراث والهوية، ندوة، دارالكلمة، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- 19- العروي عبدالله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، دارالحقيقة، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
- 20- عزالدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن، منظور جدلي تفكيكي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م.
- 21- غارديه لويس، أهل الإسلام، تر: صلاح الدين برمدا، وزارة الثقافة، سوريا، ط1، 1981م

- 22- غاسيتون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، دط، دت.
- 23- غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1987م.
- لويس برنارد، الغرب والشرق الأوسط، تر: نبيل صبحي، دط، دت.
- 24- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.
- 25- ماجدة حمود، صورة الشرق لدى هرمان هيسة، مجلة دمشق، المجلد 19(1+2)، 2003 م.
- 26- ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دراسته، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق. سوريا، دط، 2000م.
- 27- محمد فاروق النبهان، الإستشراق: تعريفه ومدارسه وأثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، الرباط، دط، 2012م.
- 28- موسى سلامة، الأدب للشعب، الأنجلو، مصر، ط1، 1956 م.
- 29- موسى سلامة، اليوم والغد، المطبعة العصرية، مصر، ط1، 1927 م.
- 30- مي عبد الكريم محمود، تائهون في صحراء الإسلام : صورة الصحراء العربية في كتابات الرحالة والمستشرقين الفرنسيين، الأهالي، سوريا، ، ط1، 2003 م.
- 31- ميجان الروبلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007 م.
- 32- ناجي عويجان، تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي، تر: الإصباح، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

33-يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، مصر، دط، 2009م.

المعاجم والقواميس:

1-إبن منظور، لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، دارالمعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، تج1.

2-أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح :عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، ج3، 1979م.

3-الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تح : نواف الجراح، دار الأبحاث للترجمة والنشر، ط1، 2011 م.

4- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دط، 2005 م.

5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، نشر مجمع اللغة العربية، ط1، ج1، 1980 م.

6- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج 1.

الرسائل الجامعية

1-أمينة سوفلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، في دي موباسان وألبير كامو أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008، 2009م.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

الصفحة

العنوان

شكر و عرفان

مقدمة

أ

مدخل : الشرق و الغرب : المصطلح بين المفهوم و التكون

- 07 I - تعريف الشرق و الغرب
- 10 II - مفهوم الشرق في الغرب
- 12 III - مفهوم الغرب في الشرق

الفصل الأول : صورة الآخر و جدلية تعدد المفاهيم

- 16 I - الصورة الماهية و المصطلح
- 16 1 - الصورة لغة
- 18 2 - الصورة إصطلاحا
- 18 3 - الصورة في الأدب المقارن
- 21 II - الآخر
- 21 1 - الآخر لغة
- 21 2 - الآخر إصطلاحا
- 23 III - ولادة الصورولوجيا
- 24 1 - البدايات الأولى لدراسة صورة الآخر في الأدب المقارن
- 25 2 - أسباب تباين صورة الأنا عن الآخر
- 27 3 - أهمية دراسة الصورولوجيا
- 28 4 - وسائل تلقي صورة الآخر
- 28 * الرحلة

فهرس المحتويات

32	* الترجمة
35	* الإستشراق
37	IV - منهجية البحث في حقل الصورة

الفصل الثاني : تجليات صورة الآخر في رواية الخيميائي

41	I - الشخصيات
41	1- الشخصيات الرئيسية
46	2- الشخصيات الثانوية
51	II - أهم القضايا التي تعالجها الرواية
53	III - تمظهر الآخر عبر المكان
55	IV - أنماط صورة الآخر
55	1- صورة الآخر المسلم المضيف
56	2- صورة الآخر العربي الحكيم
58	3- صورة المرأة العربية المتزنة وسحر الأنوثة
60	4- صورة الآخر العربي المحافظ على تقاليده
61	5- صورة الآخر اللص المحتال
63	6- صورة الآخر الخيميائي ساحر الصحراء
66	خاتمة
70	الملاحق
75	قائمة المصادر و المراجع
	الملخص

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية " علم الصورولوجيا " في رصد خبايا وأسرار الآخر، هذا الأخير الذي نتستند في دراسته على الرحلة إليه، لتتبع أخباره ومشاهدة شعبه ونقل صورته نقلا حقيقيا بعيدا عن الزيف والكذب.

تكمن أهمية الرحلة في تشكيل الصور المتعددة عن الآخر سواء كانت إيجابية أو سلبية، وتعتمد على مرجعيات تتوعدت بين الدينية والثقافية والاجتماعية ...

تجلت صورة الآخر العربي، في هذه الرواية - الخيميائي لباولو كويلو - في صورة يغلب عليها الجانب الحسن أكثر من السيئ ، وللروائي الفضل في إظهار هذه الصورة الحسنة عن العربي ليزيل الخوف من قلوب الرحالة الغربيين الذين يأملون في زيارته والتعرف عليه عن قرب.

Résumé

Le but cette étude est de révéler l'importance de la « science Alsourologia I » dans le suivi des mystères, celui-ci dans son étude, basée sur le voyage à lui, de garder une trace des nouvelles et de regarder son peuple et le transfert de son image, citant un vrai loin du menterie et le mensonge.

L'importance du voyage dans la formation de plusieurs images de l'autre, que ce soit positif ou négatif, et fonder sur des références allant de la religieuse, culturelle et sociale...

L'image de l'arabe est apparue dans ce roman - Alchimiste Paulo Coelho - comme une image dominée par le côté de bon plus que le mauvais, et a crédit montrent une bonne de ce sujet pour l'arabe supprime la crainte des cœurs des voyageurs occidentaux qui espèrent visiter et identifier de près.